# علم الأصوات

## بين القدامى والمحدثين

الدكتور عادل محلو

# علم الأصوات

## بين القدامى والمحدثين

الدكتور عادل محلو

# علم الأصوات

## بين القدامى والمحدثين

الدكتور عادل محلو

حي الشط قرب الحي الجامعي - الوادي
هاتف 032 24 07 18
032 24 71 71
فاكس 032 24 93 11
البريد الإلكتروني: edition@mezouar.net
الموقع الالكتروني: www.mezouar.net

**Mezouar**
**Printing, Publishing and Distributing**
Chott city near to the university campus
El-oued
Tél : 032 24 71 71
: 032 24 07 18
Fax: 032 24 93 11
E-mail: edition@mezouar.net
site web: www.mezouar.net



مصمم الغلاف : احمد بدوي
تصفيف الكتاب : د. عادل محلو
الطباعة: مطبعة مزوار

الطبعة الاولى
2009

الايداع القانوني: 2009-4226
الايداع القانوني: 978-9947-942-17-8

بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقَدِّمَة

اللغـة، هـذه الظـاهرة الفريـدة الـتي ميّـزت الإنـسان بخصائصها عن غيره من المخلوقات ظاهرةٌ جديرة بالدراسة العلميّة الدقيقـة لفهـم آلياتـها وكـشف غناهـا في مـستوياتها جميعا: الصوتيّ، الصرفي، التركيبيّ، الدلاليّ.

ولقــد كــان لعلمــاء ومفكّــري الحــضارة العربيّــة إسهامات جليلة في دراسة هذه الظاهرة. وفي هذا الكتـاب يتمّ التركيـز علـى المـستوى الـصوتيّ وإسـهامات علمـاء الحـضارة العربيّة فيه، من لغويين، أصوليين، متكلّمين، وفلاسفة.

وتنطلق الدراسة من أبي الأسود الـدؤلي إلى الخليـل بن أحمد الفراهيدي، فسيبويه وابن جنّي وطائفـة أخرى مـن علمــاء اللغــة، كمــا تمتــدّ إلى الأشــعري عــالم الأصــول، والجـاحظ وإخـوان الـصفا في مجـال الفلـسفة بمفهومـه القـديم الذي يشتمل على علوم الحياة والنفس البشرية وغيرهما.

إذنْ هي دراسة تغطّي مرحلة زمنيّة طويلة، كما أنّها تغطّـي مواضـيع وقـضايا كـثيرة أيـضا. فهـي تنطلـق بتمهيـد يعـرضُ لـسبب نـشأة علـوم العربيّة عموما وعلـم الأصـوات خصوصا.

أمّا الفصل الأوّل تناولَ للظاهرة الصوتيّة ؛ أي جهود العلماء العرب في معالجة الصوت خارج جهاز النطق الإنسانيّ، ثمّ تفهمهم الصوت اللغويّ وتحديده، وأيضا ضبطٌ لما عرفوه من أعضاء جهاز النطق، ثمّ الآليّة التي تصوّروها لعمليّة النطق بالأصوات.

أمّا الفصل الثاني فهو مخصّصٌ لمخارج الأصوات كما عرضها أبو الأسود والخليل وسيبويه، وقد فصّلتُ في جُهْدَيْ الأخيرَيْن، ووازنتُ بينهما في ضوء الدراسات الصوتيّة الحديثة، وتطرّقتُ إلى أهمّ المحاولات في هذا المجال بعد سيبويه.

ويسيرُ الفصل الثالث المخصّصُ لصفات الأصوات كالفصل السابق ؛ إذ يَنطلقُ من جهد أبي الأسود ثمّ يُركّزُ على جهدي الخليل وسيبويه والموازنة بينهم في ضوء الدرس الصوتيّ المعاصر. ويلي ذلك تناول أهمّ محاولات علماء العربيّة بعد سيبويه في تدقيق وضبط صفات الأصوات. ويُختَمُ هذا الفصل بالتطرّق إلى بحث المنهج الذي استخدمه علماء ومفكّرو العربيّة في معالجة قضايا علم الأصوات.

وقد اجتهدتُ خلال هذه الفصول الثلاثة في عرض الآراء والجهود الصوتيّة التراثيّة على ما في علم الأصوات المعاصر من دقّة ونتائج أكثر انضباطا لخضوعها للتجريب المخبريّ، والاختبار المنهجيّ العلميّ لتبيان أهميّة ما قدّمَ علماء ومفكّرو الحضارة العربيّة على اختلاف توجّهاتهم ومشاربهم.

وأمّا الفصل الرابع فهو مخصّصٌ لعرض المفاهيم الأساسية في علم الأصوات الحديث؛ الصوت اللغويّ والفونيم، ثمّ الصوائت والصوامت وخصائصهما، ومخارج وصفات الصوامت، وأخيرا عرضٌ للفونيمات العربيّة من حيث الجهارة والوضوح السمعيّ.

ولَزِمَ لذلك كلّه العودة إلى أهمّ مصادر التراث الصوتيّ العربيّ كمقدّمة العين، وكتاب سيبويه، وسرّ صناعة الإعراب لابن جنّي، والحيوان للجاحظ، ورسائل إخوان الصفا. وتطلّب هذا الكتابُ أيضا العودة إلى عديد الدراسات الصوتيّة الحديثة تجدها مُثْبَتَةً في قائمة المصادر والمراجع.

وقد اجتهدتُ الاجتهاد كلّه في أن يكون منهجي وصفيّا يرتكز إلى وصف الرأي الصوتيّ كما هو في مصدره، ثمّ تقييمه تقييما علميّا موضوعيّا في ضوء الدرس الصوتيّ الحديث بعيدا

عن الانحياز لتراثنا، وبعيدا أيضا عن الانبهار بما أتى المحدثون.
ويلي ذلك الحكم عليه بالصحّة أو الخطأ مع اعتبار تطوّر الأصوات عبر العصور، والبحث - أحيانا - في سبب الاختلاف بين الرأيين القديم والحديث؛ إذ لا قدسيّة لاجتهادٍ بشريّ قديما كان أو حديثا.

ولا بُدَّ هنا من التنويه بحدود هذه الدراسة؛ إذ لا تتعدّى الصوتَ المُفردَ من حيث المخرج والصفات، فهي لا تنظر في تآلف الأصوات بعضها ببعض، وهو ما سيُخرجُ جهود البلاغيين وعلماء القراءات من مجالها، كما أنها لا تبحث مجال المقاطع والنبر والتنغيم.

أتمنّى أن تكون هذه الدراسة المتواضعة إضافة إلى مكتبة الدراسات الصوتيّة في الجزائر خصوصا وفي العالم العربيّ عموما، وأن تكون مفيدة للطلاب والباحثين.

د. عادل محلو
mehellouadel@yahoo.com

# تمهید

ممّا لا يُختلف فيه أنّ نزول القرآن الكريم حدث تاريخيّ شديد الخطورة وبالغ الأهميّة في مسيرة البشريّة عامّة والجزيرة العربية خاصة ؛ فلقد وَلّدَ تحوّلات جذرية وتغيّرات عميقة في مختلف مناحي الحياة العربية.

هذا القرآن الذي أنزل بلسان عربيّ مبين قهر العربَ أئمّة الفصاحة والبيان، وظهر من وجوه إعجازه الكثير فاندفع المسلمون يتأمّلونه ويدافعون عنه ؛ يتأمّلونه من كلّ جوانبه، ومنها الجانب اللغويّ في حرصٍ على سلامة نصّه الشريف من أي تغيير أو تحريف في جميع المستويات التي يمكن أن يطرأ عليها ذلك.

ولأجل هذا الهدف السامي أنشأ المسلمون علوما جليلة ؛ فللحفاظ على معانيه ودقّتها جاء علم التفسير "الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يُستفاد منها باختصار أو توسّع"[1]. وأما بالنسبة لجانب الأداء فقد ظهر علم القراءات الذي يهتمّ بـ"اختلاف ألفاظ الوحي المذكورة في كتابة الحروف أو كيفيّتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"[2]. ولقد تطوّر هذا الاهتمام شيئا فشيئا حتى غدا عنايةً

---

[1] - التحرير والتنوير، الشيخ الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس - المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، م1، جـ1، ص: 11.

[2] - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1988، جـ1، ص: 318.

باللغة العربية ذاتها في كلّ مستوياتها لأجل الحفاظ على النصّ القرآنيّ الكريم خلْواً منْ التغيير والتحوير حتى قيل: " إنّ العلم بلغة العرب واجب متعلّق من العلم بالقرآن والسنّة والفُتيا بسببٍ"[1].

ولذلك تبارى العلماء المسلمون في ذلك على اختلاف توجّهاتهم؛ فأخذ علماء القراءات يسندون جهود اللغويين، ويُكمّل ذلك نظر الفلاسفة في وقت متأخر نسبيًا.

فلقد وضع علماء اللغة من نحاة ومعجميّين أصول علم الأصوات، فحدّدوا المخارج والصفات، ثمّ توسّع القرّاء في فروع هذا العلم بدراسة الإدغام والـمُدُود والوقف وغير ذلك. ثم جاء الفلاسفة والموسوعيين ليتمّوا البناء الصوتيّ العربي بمجموعة آراء في طبيعة الصوت بعيدا عن الجهاز النطقي الإنسانيّ، ومقدّمين تقسيمات مغايرة ومُثرية لتلك التي وضعها اللغويون من قبلهم[2].

---

[1]- الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، تحـ: د. مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، 1964، ص: 64.

[2]- انظر: البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر، دار المعارف، القاهرة، ص: 83.75.

# الفصل الأوّل

# الظاهرة الصوتيّة

أولًا- الصوت ظاهرة طبيعية.

ثانيًا- الصوت اللغوي.

ثالثًا- جهاز النطق.

## أولا- الصوت ظاهرة طبيعيّة:

وُجِد الإنسان في هذا الكون مُحاطاً بعدد كبير من الظواهر المتنوّعة، لكنّه لم يقف أمامها موقف العاجز لأنّ الله زوّده بحواس تساعده على إدراكها، ولعلّ أهمّ تلك الحواس التي نتلقّى بها ما يحدث حولنا حاسّتا: البصر والسمع[1].

وقد لاحظ الإنسان العربيّ - كغيره - الظواهر السمعيّة فتحدّث عنها، وحاول الكشف عن خباياها ومعرفة أسرارها بطرق مختلفة تطوّرت تبعا لتطوّر تفكير الإنسان العربيّ حتى وصلت إلى دور النضج، وتعدّت الأطوار الخرافية إلى التفكير العلميّ.

1. **عند الجاحظ** (ت 255 هـ):

ومن بين الأوائل الذين تناولوا هذه الظواهر السمعيّة؛ أي الأصوات، صاحب كتاب الحيوان. فقد تحدّث عن أثر الأصوات في الإنسان والحيوان. يقول مثلا: " وأمر الصوت عجيب وتصرّفه في الوجوه عجب فمن ذلك أنّ منه ما يقتل كصوت الصاعقة، ومنها ما يسرّ النفوس حتى يُفرط عليها السّرورُ فتقلق حتى ترقص، وحتى

---

[1] - انظر: نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، علي عبد الواحد وافي، مكتبة غريب، القاهرة، ص: 15.7 حيث تفصيل وافر في ذلك.

وربّما رمى الرجل نفسه من حالق"[1]. ثم يدخل الجاحظ في جدل مع نفسه وكأنّه استشعر ما قد يُعترض به على قوله بتأثير الأصوات في السامعين، بحجّة أنّ ذلك حاصل من جهة المعاني لا الأصوات في ذاتها فقال: "وليس يعتريهم ذلك من قِبَل المعاني، لأنّهم في كثير من ذلك لا يفهمون معاني كلامهم، وقد بكى ماسرجويه من قراءة أبي الخوخ، فقيل له: كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدّق به؟ قال: إنّما أبكاني الشجا"[2].

ولتأكيد رأيه أكثر يضيف حجّة إلى حجّته السابقة بقوله: "وبالأصوات ينوّمون الصبيان والأطفال"[3]، فلم يقل بالمعاني؛ لأنّ الأطفال -في كثير من ذلك- لا يفهمون من المناغاة شيئا.

وأمّا عن أثر الأصوات في الحيوان فيقول: "والإبل تصرّ آذانها إذا حدا في آثارها الحادي وتزداد نشاطا وتزيد في مشيها، ويجمع بها الصيّادون السمك في حظائرهم التي يتّخذونها له"[4]، ويضيف

---

(1) - الحيوان، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، ط 3، 1969، ج 4، ص: 191-192.

(2) - السابق، ص: 192.

(3) - السابق، الصفحة نفسها.

(4) - السابق، ص: 193.

إلى تلك أمثلة أخرى عن حيوانات يؤثّر فيها الصوت كالطيور والأسد والأيائل وغيرها[1].

كما يُشير الجاحظ إلى قضيّة هامة وهي: سرعة الصوت وعلاقتها بسرعة الضوء؛ إذ يُقرّر أنّ الضوء أسرع وذلك في قوله: "وحتى رأيتَ البرقَ سمعتَ الرّعدَ بعد، والرّعد يكون في الأصل قبله ولكن الصوت لا يصلُ إليك في سرعة البرق"[2].

2. عند الكِنْدي (ت 256 هـ):

ونفسُ الذي ذهب إليه الجاحظ من تأثّر الإنسان بالأصوات قال به معاصره الفيلسوف: الكِنْديّ، بل تناوله بشكل أعمق حين ربط في رسالته: "أجزاء خبريّة في الموسيقى" بين اللحون والحالات النفسيّة فيقول مثلا: "... وينبغي أنْ يستعمل الموسيقار في كلّ زمان من أزمنة النهار ما يوافق ويُشاكل لذلك الزمان من الإيقاعات... ففي أواسطها وعند قوّة النّفس: الإيقاعات الإقداميّة والتجربة البأسيّة... وعند النوم ووضع النّفس: الإيقاعات الشجويّة"[3].

---

[1] - الحيوان، الجاحظ، ج 4، ص: 193.

[2] - السابق، ص: 408.

[3] - رسائل في أجزاء خبرية عن الموسيقى، نقلا عن: الكندي (سلسلة فلاسفة العرب)، يوحنا قمير، دار المشرق، بيروت، 1982، ص: 143.

كما أنّه حاول ـ بخلفيّته الفلسفيّة ـ الربط أيضا بين الطباع وصوت المغنّي، وذلك لتحديد أيّ الأوقات أنسب له ليعطي صوتا جميلا، فيقول مثلا: "أمّا نغمة الموسيقار فإنّها عن كانت حادّة دقيقة استدللنا على أنّ الغالب على طباعه الحرارة فينبغي أنْ يكون غناؤه في الزمان البارد... ومن كان في تركيبه البرودة واليبوسة، كان صوته أبحّ خشنا، وذلك لأنّ البارد يُقبض، واليابس يُخشّن... فينبغي له أن يتغنّى في الزمان الحار الرطب"[1].

3. **عند أبي الحسن الأشعريّ** (ت330 هـ):

وفي بداية القرن الرابع الهجريّ ينقل لنا أبو الحسن الأشعريّ في كتابه مقالات الإسلاميّين إحدى صور الجدل الذي طبع تلك الفترة، وهي تتعلّق بآراء مختلفة حول ظاهرة الصوت، يقول: "... اختلفوا في الصوت: هل هو جسم؟

ـ واختلفوا أيضا حول وجود الصوت لا لمُصوِّت؟"[2]، واختلفوا أيضا في وجود الصوت في مكانين مختلفين، وهل يبقى الصوت أم لا؟

---

[1] ـ رسائل في أجزاء خبرية عن الموسيقى، نقلا عن: الكندي (سلسلة فلاسفة العرب)، يوحنا قمير، ص: 102.101. نُلاحظُ أنّ الكندي بعدّه فيلسوفا قد عرض للأصوات في إطار الموسيقى لأنها كانت من العلوم العقلية الفلسفيّة. (في ذلك انظر: علماء العرب، يوسف فرحات، ترادكسيم، جنيف، ط1، 1986، ص: 33.32.)

[2] ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1969، جـ2، ص: 112.

كما دار الخلاف على كيفيّة سماع الصوت[1]، "وهل يجوز عليه الانتقال أم لا؟

1. فقال قائلون: ينتقل في الجوّ فيصكّ الأسماع ويؤلمها... وهذا قول النظام.

2. وقال قائلون: لا يجوز عليه الانتقال..."[2]. وهكذا فقد كانت الآراء تتناقض وتتنافر في أحيان كثيرة، وقد قصد البعض إلى الوسطيّة في هذه القضايا فجمعوا بين الآراء المختلفة، كأولئك الذين قالوا إنّ الصوت ليس بجوهر ولا بعرَض[3].

**4. عند إخوان الصّفا:**

في أواسط القرن الرابع الهجريّ ظهر "إخوان الصفا"[4] الذين تركوا لنا رسائلهم الشهيرة التي عالجوا فيها كثيرا من المواضيع والظواهر، ومن بينها ظاهرة الصوت. فقد بحثوا في سبب حدوث الصوت وتوصّلوا إلى "أنّ حدوث الصوت يكون من تصادم الأجسام بعضها ببعض... فينضغط الهواء عند ذلك، وتتدافع أمواجه، وتتموّج

---

[1] - انظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ص: 112.111.

[2] - السابق، ص: 112.

[3] - السابق، الصفحة نفسها.

[4] - انظر: إخوان الصفا (سلسلة فلاسفة العرب)، يوحنا قمير، دار المشرق، بيروت، 1982، ص: 11.

حركتُه إلى الجهات الستّ بسرعة، فيحدث الصوت ويُسمع"[1]، فالصوت عندهم - إذن - ما تُدركه الأذن بسبب تموّج الهواء المنضغط عن قَرْع جسميْن، وهم بذلك لا يتعدون كثيرا عن النظرة الحديثة التي تقول إنّه" الأثر السمعيّ الذي تحدثه تموّجات ناشئة عن اهتزاز جسم ما"[2]. وقد اشترطوا في هذا التصادم بين الجسميْن أنْ يكون سريعا، لأنّ "كلّ جسميْن يتصادمان برفق لا يُسمع لهما صوت؛ لأنّ الهواء ينسلُّ من بينهما قليلا قليلا، فلا يُحدِثُ صوتاً"[3]، وهذا يقرّبهم من مفهوم عتبة السمع التي تعني الحدّ الأدنى من الذبذبات الذي يمكن للأذن البشريّة أن تسمعه[4]، فبسبب إدراكهم لمفهوم عتبة السمع اشترطوا حدّا أدنى معيّنا من قوّة اصطدام الأجسام بعضها ببعض يُمكّن من إنتاج صوت قابل لأن يُسمَع.

كما قدّم إخوان الصّفا أيضا تقسيمات لظاهرة الصوت على أسس عديدة؛ فمنها ما تنقسم إليه الأصوات من جهة كيفيّة الحركات التي تؤدّيها الآلة المُصوّتة سواء كانت جهاز نطق حيوانيّ، أو آلة موسيقية أو غيرها. وهذه الأقسام ثمانية تُصنَّف مَثْنَى مَثْنَى "فمنها

---

(1) - رسائل إخوان الصفا، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1958، جـ 3، ص: 133.

(2) - معجم المصطلحات العلميّة والفنيّة، يوسف خيّاط، دار لسان العرب، بيروت، ص: 391.

(3) - رسائل إخوان الصفا، جـ 3، ص: 132.

(4) - انظر: علم الأصوات العام، بسام بركه، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص: 175.

الكبير والصغير، السريع والبطيء، والدقيق والغليظ، والثقيل والخفيف"[1].

وقد شرحوا كلاًّ منها فقالوا عن الثنائية الثالثة مثلا: " وأمّا الدقيق والغليظ من الأصوات فبإضافة بعضها إلى بعض كأصوات نغمة الزير بإضافتها إلى نغمة البُم"[2]... ومن وجه آخر فإنّ صوتَ كلّ وتر غليظٌ بالإضافة إلى ما دونه أيّ وتر كان، فعلى هذا القياس تُعتبر حدّة الصوت وغِلَظها بإضافة بعضها إلى بعض"[3].

وقالوا عن الثنائيّة الأخيرة أنّ الثقيل والخفيف من الأصوات يكون بحسب قوّة الحركة وضعفها، ومثال ذلك "... صوت العليل السقيم بالقياس إلى صوت الصحيح المُعافى، وصوت العليل إلى من هو أضعف منه وأسقمُ حتى يكون أجهر الأصوات من الناس ما كان في غاية الصحة وسلامة الحواسّ واستواء الآلة، وأخفاهنّ ما كان في الغاية بخلاف هذه الصفة لما فيه من ضعف القوّة..."[4].

---

[1] - رسائل إخوان الصفا، ج 3، ص: 136.

[2] - الزير: أدقُّ أوتار العود، والبُم أغلظُها. انظر: معجم المصطلحات العلميّة العربية، فايز الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1990، ص: 52. وعلى هذا الأساس ينتج عن الوتر الأوّل صوتٌ حاد، بينما ينتج عن الثاني صوت خفيضٌ، وهو ما يسمّيه إخوان الصفا الدقيق والغليظ.

[3] - رسائل إخوان الصفا، ج 3، ص: 136.137.

[4] - السابق، ص: 137.

ويبدو أنّ الثقيل في اصطلاحهم مرادفٌ للجهير؛ لنّ هذا الأخير مقابل للخفيّ من الأصوات كما في النص" السابق.

كما قسم إخوان الصفا الأصوات من جهة كميّة الحركة إلى نوعيْن: "متّصلة و ومنفصلة، فالمنفصلة هي التي بين أزمان حركاتها في النقرات زمان سكون محسوس"[1]، وأمّا المتّصلة فإنها تلك التي لا تحسّ بسكون بين أزمان حركاتها. وقسموها أيضا إلى أصوات حادة وغليظة، ومثالها في الناي مثلا أنّ "ما كان من النايات... أوسعَ تجويفا وثقبا كان صوته أغلظ، وما كان أضيق تجويفا، كان صوته أحدّ"[2]؛ أيْ ما كان مجرى الهواء فيه واسعا كان ذا صوت غليظ وما كان عكس ذلك فيُصدِرُ صوتا حادّاً.

كما قسموا الأصوات أيضا إلى: حيوانية وغير حيوانية. وقد قسموا الأولى إلى نوعيْن "منطقيّة وغير منطقيّة. فغير المنطقيّة أصوات سائر الحيوان التي ليست بناطقة. وأمّا المنطقيّة فهي أصوات الناس، منها دالة ومنها غير دالة"[3]؛ فمثال غير الدالة من المنطقيّة: الضحك والأنين، وأمّا الدالة فهي ما له هجاء من الكلام[4]. وهذا يعني أنّهم

---

[1] ـ رسائل إخوان الصفا، جـ: 3، ص: 137.

[2] ـ السابق، الصفحة نفسها.

[3] ـ السابق، ص: 123.

[4] ـ انظر: السابق، الصفحة نفسها.

كانوا يفرّقون بشكل واضح بين: "الصوت" الذي يرادفه في اللغات الأجنبيّة: the sound الانجليزي و: le son الفرنسي، وبين الصوت الإنسانيّ الذي يرادفه: thevoice في الانجليزية و: lavoix في اللغة الفرنسيّة[1]. كما أنهم يميّزون أيضا بين الصوت اللغويّ وهو ما سمّوه بـ: "الصوت الدال" وبقيّة الأصوات الإنسانية غير الدالة التي ليست سوى تعبير طبيعيّ عن الانفعالات[2].

والجدير بالذكر أنّ التفريق الأوّل قد ورد أيضا عند أبي هلال العسكريّ (ت 400 هـ) في كتابه: "الفروق اللغويّة" حين يقول: "الفرق بين الصوت والكلام أنّ من الصوت ما ليس بكلام مثل صوت الطست وأصوات البهائم"[3].

وتلك الأصوات الإنسانيّة الدالّة هي التي تدخل في إطار علم اللغة، وهي التي يقصد اللغويون بحثها ودراستها، أمّا تلك التي لا تدلّ فإنّها - إضافة إلى الدالة - تدخل ضمن ميدان علم النفس[4].

---

[1] - انظر: معجم المصطلحات العلميّة والفنيّة، يوسف خيّاط، ص: 391.

[2] - انظر: نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، د. علي عبد الواحد وافي، ص: 49.

[3] - الفروق في اللغة، أبو هلال العسكريّ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1979، ص: 30.

[4] - من بينها أصوات المرحلة القبلغوية التي يمرّ بها الأطفال. انظر: محاضرات في علم النفس اللغوي، د. حنفي بن عيسى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط: 4، 1993، ص: 130 - 131.

وهذه الأصوات الدالّة قد اهتمّ بها العلماء العرب منذ فترات مبكّرة من تاريخ العلوم العربيّة.

## ثانيا ـ الصوت اللغوي:

### 1. الكتابة وتحديد الأصوات اللغوية:

يبدو أنّ أولى صور الاهتمام بالأصوات اللغوية هي حصرها وتحديدها، وقد تكفّل بذلك واضعو الأبجديّة العربيّة الذين نجهلهم. ولكن المهمّ أنّ هذه الأبجدية سبقت ما وصلنا من جهود صوتيّة بأكثر من قرنين ونصف على أقلّ تقدير؛ إذ إنّ واحدا من النقوش التي عُثِرَ عليها وقدّمت طريقة كتابة تكاد تكون متكوّنة نهائيا، أحدها ـ ولعلّه أهمّها ـ يعود إلى عام 568م[1].

هذه الكتابة تكاد تكون نهائيّة التكوّن في أشكالها؛ أيْ إنّها أقدمُ ما يمثّل الكتابة العربيّة منفصلة عن تأثير غيرها من الكتابات[2]، وبسبب ذلك خضعت فيما بعد لإصلاحات عدّة أشهرها:

1. إصلاح أبي الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) والمتمثّل في وضع نقط الإعراب محدّدا علامات تميّز الحركات الثلاث القصيرة، إضافة إلى علامة خاصة بالغنّة[3].

---

[1] ـ انظر: تاريخ الأدب العربي، د. ريجيس بلاشير، تر: د. إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر ـ تونس والمؤسسة الوطنيّة للكتاب ـ الجزائر، 1986، ص: 77.

[2] ـ انظر: السابق، ص: 78.(اللوحة التي تلخّص علاقة الكتابة العربيّة بغيرها).

[3] ـ انظر: نزهة الألبّاء، أبو البركات الأنباري، دار نهضة مصر، القاهرة، ص: 09. و: الكتابات والخطوط القديمة، تركي عطية الجبوري، مطبعة بغداد، بغداد، 1984، ص: 123.

2. إصلاح الخليل بن أحمد (ت 175 هـ) حين وضع "رموز الفتح والضمّ والكَسْر والتَّسْكين... [ وابتكاره ] علامة مميّزة للهمزة، هي شكل رأس عين صغيرة"[1].

ومثل هذين الإصلاحيْن يُعدّان من المصادر الأولى للملاحظات الصوتيّة العربية[2]، ويبدو أنّها جاءت مُبكّرة جدّا بالنسبة للحضارة العربية الإسلاميّة ومبشّرة بفيض من الدراسات الصوتيّة المتشعبة والمتنوّعة والثريّة جدّاً.

وإضافة إلى تلك الأصوات التي تمّ حصرها عبر الكتابة الأبجديّة، أي تلك التي تمثّل الفونيمات العربيّة، إضافة إليها نجد صورا أخرى لنطق الفونيم الواحد؛ أيْ ما يُعبّر عنه بـ: "الألفون"، وهي أصوات ليست لها صور كتابيّة لأنها "لا تتبيّن إلا بالمشافهة"[3].

وقد رصد سيبويه (ت 180 هـ) في كتابه عددا منها مثل "... الشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي... والجيم التي تكون

---

(1) ـ معجم الإعراب والإملاء، إميل بديع يعقوب، دار شريفة، الجزائر، ص: 11 (الهامش 1).

(2) ـ انظر: علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربيّ، د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، ص: 93.

(3) ـ الكتاب، سيبويه، تحـ: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط: 1، 1991، جـ: 4، ص: 432.

كالكاف... والباء التي تكون كالفاء"[1]، فصارت الأصوات العربية عنده ثلاثة وأربعين أصلها التسعة والعشرون التي لها صورٌ كتابية[2].

**2. مراحل انتقال الصوت اللغوي:**

إنّ هذه الأصوات اللغويّة التي نُعبّر عنها القدامى بـ: "الحروف" هي التي تتشكّل منها الكلمات فالجمل التي يتمّ بواسطتها التواصل بين الناس، وهذا "التواصل في جوهره عمليّة مُركّبة ذات مراحل مختلفة يمكن لنا حصرها في ما يلي:

1. الإنتاج: إنتاج الأصوات بواسطة جهاز النطق عند الإنسان.
2. الانتقال: انتقال الأصوات عبر الأثير على شكل ذبذبات تُحدث تموّجات في الفضاء.
3. الاستقبال: استقبال الأذن للأمواج الصوتيّة"[3].

---

(1) . الكتاب، سيبويه، ص: 423.

(2) . انظر: السابق، ص: 431 . 432. وما في نصّ الكتاب أنّها اثنان وأربعون صوتاً، بينما حينما نُعدّ فإنّها ثلاثة وأربعون: تسعة وعشرون أصولاً، و: ستّة مستحسنة، و: ثمانية غير مستحسنة، وهذه الأربعة عشر الأخيرة هي الفروع التي رصدها سيبويه. وقد أشار المحقّق إلى أنّ سيبويه عدّ الجيمَ التي كالكاف والجيم التي كالشين جيما واحدة، ولكن - في رأيي - لا وجه لذلك البتّة لأنّ كلاً منهما "الفونيم" مستقلّ ومتمايزٌ عن الآخر.

(3) – مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص: 69.

وقد وَرَدَ في كتب التراث التي تحدّثت عن الأصوات معالجةٌ لهذه المراحل الثلاث، ويبدو أنّ أولاها حَظِيَتْ باهتمام كبير لأنها مبدأ حلقة الكلام التي تُحقّق عملية التواصل.

أما المرحلة الثانية: "مرحلة الانتقال" فتناولها الفلاسفة والمتكلّمون، بينما يكاد الدارس يفتقدها في كتب اللغويين. وقد سبقت الإشارة في المبحث الأوّل أعلاه إلى بعض الجهود المهمّة التي درست هذه المرحلة عند الجاحظ وإخوان الصفا، وما نقله الأشعريّ.

ويكاد الأمر نفسه يتكرّر مع المرحلة الثالثة؛ بحيث لا يجد المرء أيّ اثر لها في كتب اللغويين بينما يجدها في مصنّفات الفلاسفة وأهل الكلام. فالنظّام المتكلّم المعتزليّ (ت 231 هـ) شرح كيفيّة السمع بقوله إنّ "الصوت ينتقل في الجوّ فَيُصَاكُّ الأسماع ويؤلمها"[1]؛ أيْ إنّ عمليّة الاستقبال تتمّ بوصول الصوت إلى الأذن واصطدامه بها.

ويزداد هذا الأمر وضوحا عند إخوان الصفا، فهم يقولون إنّ السمع يتمّ حين يبلغ التموّج الذي جرى في الهواء المَسْمَعَ ويدخل في الصِّمَاخِ، فيتحرّك الهواء المستقرّ في عمق الأذن[2]. وهو تصوّر قريب

---

[1] - مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، جـ: 2، ص: 111.

[2] - انظر: رسائل إخوان الصفا، جـ: 3، ص: 103.

جدًا مما يؤكّده العلم الحديث إلاّ أنّ ما يستقرّ في عمق الأذن - أيْ الأذن الداخلية - ليس هواءً بل هو سائل يُسمّى : "السائل التّيهي"[1].

كما حاول إخوان الصّفا التوغّل في عمليات ما بعد السمع التي تؤدّي إلى إدراك المسموع فقالوا إنّ ذلك التموّج والحركة ينتهيان إلى مؤخّر الدماغ "ثم يقفُ فلا يكون له مخرجٌ ، فيؤدّيه إلى الدماغ ، ثمّ يؤدّيه الدماغ إلى القلب ؛ فيفهم القلب من هذه الحاسّة ما أدّته إليه من ذلك الحادث"[2]. وهذا التصوّر بعيد عمّا يثبته العلم الحديث ؛ إذ لا دخل للقلب في عمليّة السمع ، كما يبدو أنّ هذا الشرح الذي توغّلوا به في عمليّة ما بعد السمع إنّما هو مجرّد تصوّر فلسفيّ غير قائم على حقائق تشريحية ، ولو اعتمدوا علم التشريح لتوصّلوا قبل ذلك إلى وجود السائل التّيهي في عمق الأذن.

وعلى العموم فإنّ اهتمامهم بعمليّة السمع مما يُحسب لهم ؛ إذ إنّ الاكتفاء بدراسة جهاز النطق فقط كوسيلة إرسال يُعدّ نقصا ، فدراسة الجهاز المكمّل له - وهو جهاز السمع - من أهمّ طرق تلافي ذلك

---

(1) - انظر : الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط : 4 ، 1971 ، ص : 15. و : دراسة السمع والكلام ، د. سعد مصلوح ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1980 ، ص : 295.

(2) - رسائل إخوان الصفا ، ج : 3 ، ص : 103.

النقص. كما أنّهم يكونون بذلك قد نهجوا نهجا تسلكه الدراسات الحديثة في علم الأصوات.

وإخوان الصفا بتطرّقهم للمرحلتيْن التاليتيْن لمرحلة الإنتاج قد سدّوا - إلى حدّ ما - ما يعدّه البعض ثغرة في علم الأصوات العربيّ؛ أي انصباب هذا العلم على الجانب النطقيّ فقط[1]. ولكنّه فيما يبدو تركيزٌ غير كافٍ على هاتيْن المرحلتيْن لأنّ التركيز على مرحلة النطق كان كبيرا جدّاً؛ فقد اهتمّ بها اللغويون ومن اشتغل بدراسة الأصوات من القدماء، حيث تحدّثوا عن جهاز النطق بكفاءة، وحدّدوا المخارج والصفات بدقّة انطلاقا من إشارة أبي الأسود ،ثمّ جهد الخليل وسيبويه، فإخوان الصفا وغيرهم.

---

[1] - ممّن ذهب إلى ذلك د. صبيح التميمي. انظر: منهج التفكير الصوتي عند العرب ودوافعه، مجلة الشريعة، جامعة قسنطينة، الجزائر، ع: 3، 1992.1993، ص: 45.

## ثالثا ـ جهاز النطق:

### 1. عند أبي الأسود الدؤلي:

حين طلب أبو الأسود من كاتبه أن يتتبع شفتيه ليضع رمزا كتابيا لكل حالة من حالاتهما الثلاث التي حددها: فتحهما، ضمّهما، كسرهما[1]، كان حينذاك قد حدد أحد أعضاء النطق واعتمد على أوضاعه وهو: "الشفتان"، وإنه لمن المنطقي أن تكونا أوّل ما يُلاحَظ؛ إذ هُما أظهرُ أعضاء النطق، كما أنه فيما يخص تتبع أوضاعهما فإنه "من الممكن ملاحظة هذه الأوضاع بيسر وسهولة"[2].

### 2. عند الخليل:

وجاء الخليل بن أحمد ليُقدّم درساً صوتيا أكثر نضجا، وفي هذا المجال بالذات تعدّى مرحلة الملاحظة الخارجيّة إلى تتبع أعضاء النطق جميعها وذلك حين حاول تحديد مخارج الأصوات العربيّة، ولقد نجح في ذلك إلى حدّ بعيد وهذه الأعضاء عنده هي: الحلق، اللهاة، الغار الأعلى، اللسان، الشفتان، الجوف[3]. وكما هو

---

[1] ـ انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: د.إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1993، ج:4، ص:1466.

[2] ـ علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، د.محمود السّعران، ص:139.

[3] ـ انظر: العين، الخليل بن أحمد، تح: عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد، 1967، ج:1، ص:65.

ملحوظ فإنّ ترتيب أعضاء النطق قد تدرّج من من الحلق إلى الشفتين، بالرغم من أنّ البداية التي خطّها أبو الأسود كانت بالشفتين.

ويتضمّن وصفُ الخليل للمخارج تحليلا جيّدا لأعضاء النطق، ومثال ذلك حديثه عن "نطع الغار الأعلى"؛ أي سقفُه، وعن "اللثة" اللذان هما قسمان من أقسام "الحنك" من وجهة النظر الصوتيّة الحديثة أيضا[1]. وكذلك اللسان فقد قسمه إلى: "أسلة اللسان"؛ وهي مُستدقّ طرفه، و: "ذلق اللسان"[2]. ومن أهمّ ما يمكن ذكره هنا: "الجوف"، وإنّه لكن المحتمل جداً أن يكون مقصده: "الرئتان"؛ لأنّهما تقعان في تجويف الصدر[3].

### 3. عند سيبويه:

وتمكّن تلميذه سيبويه من تقديم إضافات معتبرة جداً؛ فقد قسم الحلق إلى ثلاث مناطق: أدنى الحلق، وسطه، وأقصاه[4]، ويتميّز هذا التقسيم بذكر أقصى الحلق الذي يذهب كثير من المحْدثين إلى أنّ سيبويه عنى به الحنجرة[5]، وهو مذهب حسن.

---

(1) ـ انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: 18. و: في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطيّة، منشورات العراق، 1983، ص: 16 ـ 18.

(2) ـ انظر: العين، الخليل بن أحمد، ج: 1، ص: 65.

(3) ـ انظر: اللغة وعلم النفس، موفق الحمداني، مديرية الكتاب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 1982، ص: 60.

(4) ـ انظر: الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 433.

(5) ـ منهم: د. خليل إبراهيم العطيّة في كتابه: في البحث الصوتي عند العرب، ص: 22.

ومن أهمّ الإضافات أيضا تقسيمه اللسان إلى: أقصى اللسان، وسطه، طرفه، وحافته، وتقسيمه الحنك الأعلى إلى أجزاء ثلاثة: أقصى الحنك، أوسطه، ومقدّمه[1]، وهما تقسيمان يأخذ بهما علم الأصوات الحديث[2]. ومن بين الإشارات التي يمكن أنْ نعدّها سابقة لعصره إشارته إلى: "صوت الصدر"[3]، والأقرب إلى الذهن أنّ مقصده: الوتران الصوتيان وما يحدثانه من ذبذبات[4].

4. **عند إخوان الصّفا:**

ويجد المطّلع على رسائل إخوان الصفا إشارة صريحة للرئة، وإشارة ذكيّة إلى القصبة الهوائية التي عبّروا عنها بـ: "الصدر"[5]. والدافع إلى ترجيح دلالة "الصدر" في اصطلاحهم على "القصبة الهوائية" وقوعه بين الرئة والحلق؛ لأنهم يقولون عن الأصوات: "أمّا مخارجها من سائر الحيوان فإنّها من الرئة إلى الصدر، ثمّ إلى الحلق"[6].

---

(1) ـ انظر: الكتاب، سيبويه، جـ: 4، ص: 433.

(2) ـ انظر: دراسات في التجويد والأصوات اللغوية، عبد الحميد محمد أبو سكّين، مطبعة الأمان، شبرا، مصر، 1983، ص: 41. 42. و: مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ص: 72 ـ 73.

(3) ـ انظر: الكتاب، سيبويه، جـ: 4، ص: 175.

(4) ـ انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: 123.

(5) ـ انظر: رسائل إخوان الصفا، جـ: 3، ص: 101.

(6) ـ السابق، ص: 133.

ويقولون أيضا إنّ اختلاف أنواع أصوات الحيوان وفنونها يكون من أهمّ أسبابه "طول أعناقها وقصرها، وسعة حلاقيمها وتركيب حناجرها"[1]، وهم يشيرون بذلك إلى دور القصبة الهوائيّة، وهو دور قلّما تنبّه إليه الدارسون القدامى، هذا الدور الذي تدلّ البحوث الحديثة على انّه ذو أهميّة كبرى؛ لأنّ القصبة الهوائيّة "تستغلُّ في بعض الأحيان كفراغ رنّان ذي أثر بيّنٍ في درجة الصوت، ولا سيما إذا كان الصوت عميقا"[2].

كما أشاروا إلى قضيّة مهمّة وهي أثر اختلاف تركيب الحناجر في الأصوات، وذلك بيّن جدّا؛ فالحنجرة الواحدة تختلف الأصوات الصادرة عنها فما بالك بالحناجر المختلفة التركيب[3]. وكلامهم عن الحنجرة ليس بالشيء الجديد فقد أشار إلى ذلك

---

[1] ـ رسائل إخوان الصفا، جـ: 3، ص: 133.

[2] ـ الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس، ص: 17.

[3] ـ يُذكر هنا أنّ الإنسان الواحد "يتكلّم فتختلف درجة صوته عند معظم المقاطع" (الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس، ص: 9.)، كما "أنّ عدد الأصوات التي يمكن لجهاز النطق الإنساني أن ينتجها لم يمكن حصرها أو تقديرها على وجه الدقّة حتى الآن" (أسس علم اللغة، ماريو باي، تر: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط: 2، 1983، ص: 45).

الفيلسوف الفارابي (ت 339 هـ) من قبل حين قال عن آلات الألحان: "والآلة الطبيعيّة هي الحنجرة واللهاة وما فيها ثمّ الأنف"[1].

وها نحن نسجّل تقدّما جيّداً في هذا المجال؛ فبعد أنْ كانت الإشارة إلى الرئة والحنجرة مجرّد افتراض من بين افتراضات عديدة كما مرّ مع الخليل وسيبويه سابقا، انتقلت تلك الافتراضات إلى يقين، وتحوّلتْ الإشارة الخفيّة إلى ذكْرٍ صريح لهذه الأعضاء النطقيّة الهامة على يد الفلاسفة: إخوان الصفا والفارابي.

---

[1]- معجم المصطلحات العلمية العربية، فايز الداية، ص: 20.

## رابعا ـ آلية النطـق بالأصوات:

### أ. عنـد ابن جنّي:

لم يكن لطموحات علماء اللغة العرب حدٌّ، فلم يكتفوا بالكشف عن الأعضاء التي تُشكّل جهاز النطق الإنساني، بل اتجهوا إلى محاولة الكشف عن الآليّة التي يتمّ من خلالها نطق الأصوات اللغوية. ولعلّ أبرز تلك الجهود ما قدّمه ابن جنّي (ت 392 هـ) في كتابه: "سرّ صناعة الإعراب" أوّلُ مؤلَّفٍ ينظر إلى دراسة الأصوات على أنّها علم قائم بذاته[1].

وما من شكّ في شهرة نصوص كثيرة من هذا الكتاب الرائد، ومن بينها قول صاحبه: "شبّه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإنّ الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملسَ ساذجا... فإذا وضع الزامرُ أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوَحَ بين عمله، اختلفت الأصوات... فكذلك إذا قُطِعَ الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة"[2].

ومن تلك النصوص أيضا ذلك النصّ الذي شبّه فيه كيفية حدوث الأصوات اللغوية بوتر العود قائلاً: "... ونظير ذلك أيضا وتر

---

(1) انظر: في البحث اللغويّ عند العرب، د. حلام إبراهيم العطية، ص: 82.

(2) سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، تح: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج: 1، ص: 21.

العود، فإنّ الضارب إذا ضربه وهو مُرْسَلٌ سمعت له صوتا، فإنْ حصَرَ آخِر الوتَرِ ببعض أصابع يُسراه أدّى صوتا آخر... فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخَفْقَةُ بالمِضْراب عليه كأوّل الصوت من أقصى الحلق وجريان الصوت فيه غفْلاً غير محصور... وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يَعْرِضُ للصوت في مخارج الحروف من المقاطع"[1].

إذن؛ هناك مبدأٌ يراهُ ابن جنّي مُتحكّماً في نطق الأصوات وهو: "مبدأ التقطيع"؛ أيْ إنّ الصوت يكون سائرا في مجراه مُنطلِقاً من الحنجرة إلى أنْ يعترضه عائقٌ من أعضاء جهاز النطق فيحدث حينها الصوت اللغويّ.

**2. عند الجاحظ:**

ومن المُحتمل جدّا أن يكون ابن جنّي مُتأثرا في هذا المبدأ بالجاحظ الذي سبقه إلى ذلك حين يقول في البيان والتبيين عن الصوت اللغوي إنّه "آلة اللفظ، والجوهرُ الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف"[2]؛ أيْ يتمّ تقطيع الصوت إلى أصوات لغويّة ثم تُؤلّف هذه الأخيرة لتكوّن كلمات. ويبدو أنّ مؤشّرات تأثّر ابن جنّي

---

[1]- سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، ص: 21.

[2]- البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ج: 1، ص: 79.

بالجاحظ كثيرة لعلّ أهمّها ثقافة ابن جنّي ؛ إذ إنّهُ من المتأثرين بالفلسفة، كما أنّ كتاب البيان والتبيين يعدّ من أهمّ ركائز الثقافة اللغوية والأدبية في تلك العهود.

3. **عند سيبويه:**

كما يبدو لي أنّ سيبويه قد استخدم مبدأ التقطيع دون أنْ يفطن إليه أوْ يُصرّح به، وذلك في حديثه عن المجهور والمهموس، والشديد والرّخو من الأصوات، في كلّ ذلك يمكن أنْ نلحظ حضور مبدأ التقطيع ؛ ففي حديثه عن منْع جريان الصوت في الشديد[1] نجد أثر ذلك المبدأ لأنّه يرى أنّ الصوتَ يسلك مجراه إلى أنْ يعترضه حائل فيمنعه عن الجريان ليكتسب صفة الشدّة.

ومبدأ التقطيع هذا هو الذي تأسّس عليه تعريف ابن جنّي للصوت اللغوي ؛ فهو يقول: " اعلم أنّ الصوت عَرَضٌ يخْرُج مُستطيلاً مُتّصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتيْن مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيُسمّى المقطع أينما عرض له حرفا"[2].

وقد لقي هذا التعريف وتلك النصوص السابقة إعجاب علماء الأصوات المحدثين.

---

[1]. انظر: الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 434.

[2]. سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، ج: 1، ص: 19.

# الفصل الثاني

# مخارج الأصوات

أولا- مخارج الأصوات عند الخليل.

ثانيا- مخارج الأصوات عند سيبويه.

ثالثا- مخارج الأصوات بعد سيبويه.

معروفٌ أنّ العرب أوْلَوْا الفرع النطقيّ من علم الأصوات، قدرا كبيرا من التركيز والأهميّة، ومن أهمّ مباحث هذا الفرع مخارج الأصوات. ولعلّ أقدم ما وصل إلينا في هذا الجانب عمل أبي الأسود الدؤلي - المشار إليه سابقا - وهو وضع نَقْطِ الإعراب لتمييز الحركات التي تلحق أواخر الكلمات، وهي: " الضمّة ،الفتحة والكسرة"، إضافة إلى أحد مظاهر النطق الأخرى وهي: "الغنّة". فقد بنى تميُّز تلك الحركات بعضها من بعض على أساس ملاحظة وضع الشفتين حين طلب من كاتبه أن يتابع شفتيه حال الضمّ والفتح والكسر ليضع لكلّ حالة رمزا خاصّا بها[1]. وهو في ذلك قد لاحظ إحدى الحالتين الأساسيتين في تصنيف الصوائت - أي الحركات - وهي: "أوضاع الشفتين" كما ترى الدراسات الصوتيّة الحديثة[2].

---

[1]- انظر: نزهة الألباء، أبو البركات الأنباري، ص: 9.

[2]- انظر: الألسنية العربية -1- ، ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط: 1، 1972، ص: 39. و: مباحث في اللسانيات، احمد حساني، ص: 72. و: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: 35.

## أوّلا- مخارج الأصوات عند الخليل:

إنّ أوّلَ جُهد متكامل في تحديد مخارج الأصوات هو ذلك الذي قدَّمَ به الخليل لمعجمه: "العين"، ورتّب موادّه على أساسه. وقد قسم الأصوات إلى مجموعات كلّ مجموعة لها مخرج مشترك. وقد وردت لديه كالآتي:

- العين، الحاء، الهاء، الخاء، ،الغين: حلقيّة.
- القاف والكاف لهويّتان.
- الجيم، الشين، والضاد شجرية؛ أي مخرجها شَجْرُ الفم وهو مَفْرَجُهُ.
- الصاد، السين، والزاي أسليّة؛ أي مخرجها من أسَلَةِ اللسان، وهي مُستدقّ طرفه.
- الطاء، التاء، والدال نطعيّة؛ أيْ مخرجها من نطع الغار الأعلى.
- الظاء، الذال، والثاء لثويّة.
- الراء، اللام، والنون ذلقيّة.
- الفاء، الباء، والميم شفويّة.
- الياء، الواو، الألف، والهمزة هوائيّة[1].

ورغم أهميّة هذا التقسيم والتحديد للمخارج فإنّه لم يكن شاملا ودقيقا جدا، وهذه بعض الملاحظات:

---

(1)- انظر: العين، الخليل بن أحمد، جـ: 1، ص: 65.

- من الواضح أنّ هذا التقسيم لا يذكر الصوائت القصيرة: "الضمّة، الفتحة، والكسرة"، ذلك بالرغم من أنّها كانت أوّل ما لاحظه أبو الأسود، وربّما يكون الخليل قد ضمّها إلى الصوائت الطويلة: "الألف، الواو، والياء".

- كما يمكن أن يُلاحظ أيضا غياب الواو والياء الصامتين عن قائمة الخليل لمخارج الأصوات.

- ومن جهة أخرى يُسجّل عدم ثباته على رأي فيما يخصّ مخرج الهمزة؛ فهو يضعها مع الصوائت في هذا التقسيم، ثمّ يقول في موضع آخر إنّها من أقصى الحلق[1].

- ويؤخذ على هذا التقسيم عدم التفاته إلى دور التجويف الأنفي في صوتيْ الميم والنون.

- وكذلك اعتباره الفاء صوتا شفويّا، بينما هي صوتٌ شفويّ أسنانيّ كما تذكر الدراسات الصوتيّة القديمة والحديثة[2].

وبالرغم من هذه الملاحظات فإنّ هذا التقسيم يعدّ جيّدا بالنظر إلى الفترة المبكرة التي ظهر فيها، وكذلك فكرة المجموعات ذات

---

(1) انظر: العين، الخليل بن أحمد، ج: 1، ص: 64.

(2) انظر: المقتضب، المبرّد، تح: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1963، ص: 194. و: علم الأصوات، د. حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: 1، 2004، ص: 64.

المخرج الواحد التي توجهها دراسات حديثة كثيرة وتأخذ بها،(1) للمذهب مثلاً مذهب الخليل في جعل الظاء والثاء والذال من مخرج واحد، وكذلك الظاء والذال والثاء، والصاد والسين والزاي (1).

---

(1) من بين تلك الدراسات: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص 47، 48، 49، و: دراسات في التجويد والأصوات اللغوية، د. عبد الحميد محمد أبو سكين، ص: 106، 109، 111.

## ثانيا- مخارج الأصوات عند سيبويه:

بعد الخليل جاء تلميذه سيبويه ليتفادى ما لوحظ على تقسيم أستاذه عبر تقديمه الأصوات العربيّة في ستة عشر مخرجا بدل التسعة التي وردت في مقدّمة "العين". وقد حدّد صاحب "الكتاب" مخارج الأصوات كالآتي:

| | المخرج | الأصوات الصادرة منه |
|---|---|---|
| 01 | أقصى الحلق | الهمزة، الهاء، الألف. |
| 02 | أوسط الحلق | العين، الحاء. |
| 03 | أدنى الحلق | الغين، الخاء. |
| 04 | أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى | القاف. |
| 05 | أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك الأعلى | الكاف. |
| 06 | وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى | الجيم، الشين، الياء. |
| 07 | أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس | الضاد. |
| 08 | حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والرباعية والثنيّة | اللام[1]. |

(1) مخرج اللام ساقط من طبعة دار الجيل لكتاب سيبويه المعتمد هنا، بينما ورد في طبعة بولاق الثانية في: جـ: 2، ص: 405، رغم أنّها متقدّمة عن طبعة دار الجيل، ورغم أنهما لنفس المحقّق: "عبد السلام هارون" الذي لم يُشر إلى ذلك.

| | | |
|---|---|---|
| 09 | حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الثنايا | النون. |
| 10 | من مخرج النون غير أنّه أدخلُ في ظهر اللسان قليلا | الراء. |
| 11 | بين طرف اللسان وأصول الثنايا | الطاء، الدال، التاء. |
| 12 | بين طرف اللسان وفُويْق الثنايا | الزاي، السين، الصاد. |
| 13 | بين طرف اللسان وأطراف الثنايا | الظاء، الذال، الثاء. |
| 14 | باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلى | الفاء. |
| 15 | بين الشفتين | الباء، الميم، الواو. |
| 16 | الخياشيم | النون الخفيفة. |

جدول 1: مخارج الأصوات عند سيبويه[1].

وواضح أنّ سيبويه قد صحّح هنا خطأ الخليل بوضعه الهمزة ضمن أصوات أقصى الحلق مقتربا بذلك من الدراسات الحديثة التي تقول إنّ مخرج الهمزة هو الحنجرة[2]. كما أنّه رَصَدَ دور التجويف الأنفيّ في عملية التصويت حين تحدّث عن الخياشيم.

---

[1] ـ انظر: الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 433 ـ 434.

[2] ـ انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1979، ص: 125. و: علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، ص: 179.

كما اقترب سيبويه أكثر من الدراسات الحديثة حين قال إنّ مخرج الياء هو وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، وكذلك، حين قال بأنّ مخرج الواو بين الشفتين؛ فالدراسات الحديثة تؤكّد ذلك حيث مخرج الياء فيها ناتجٌ عن أنّ "وسط اللسان يُرفع عاليا تجاه الحنك الصلب"[1]، أي سقف الفم، ومخرج الواو فيها من الشفتيْن[2]، وبذلك تفادى سيبويه خطأ الخليل الذي عدّهما صوتيْن جَوْفيّيْ المخرج.

وتلافى سيبويه خطأ أستاذه الذي صنّف الفاء ضمن المخرج الشفويّ وانتبه إلى أنّها صوت شفويّ أسنانيّ ينتج عن تلاقٍ طفيفٍ بين أسنان الفكّ العلويّ والشّفة السفلى كما يذهب إليه الدارسون المعاصرون[3].

لكنّه ـ أي سيبويه ـ أخطأ حين جعل الألف من أصوات أقصى الحلق؛ لأنّ "الألف باعتبارها حركة أو صوت علّة طويلا لا تنسب إلى الحنجرة ... وإنّما إلى اللسان وطبيعة وضعه وضعاً

---

[1] ـ علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، ص: 180 ـ 181.

[2] ـ انظر: علم الأصوات، د. حسام البهنساوي، ص: 63.

[3] ـ انظر: علم الأصوات اللغوية، د. مناف مهدي الموسوي، منشورات جامعة السابع ابريل، ليبيا، ط: 1، 1983، ص: 54.

مُعيَّناً يسمح بخروج الهواء أثناء النطق حرّاً لا يقف في طريقه عائق"[1].

وممّا استمرّ فيه سيبويه ممّا يخالف الدرس الصوتيّ الحديث عدم تحديده كالخليل ـ مخارج للصوائت القصيرة أو حتى ذكرها ضمن أصوات اللغة العربيّة، وهو اتّجاه يجد مبرّرا في كونهما يعلمونها مع الصوائت الطويلة لأنّ "الفتحة بعضُ الألف، والكسرة بعض الياء، والضمّة بعضُ الواو"[2] كما يقرّر ابن جنّي. كما يبرّر ذلك أنّ "اللغة العربية ككلّ اللغات السامية تتميّز برجحان الحروف الصامتة فيها"[3] فلا تهتمّ بالصوائت كثيرا.

لكن ينبغي أن نلاحظ هنا أنّ الخليل هو واضع العلامات الكتابيّة للحركات[4] ـ أي الصوائت القصيرة ـ والظاهر أنّه كان يفصل بين الصورة الكتابيّة والصورة النطقيّة فلم يُدرج الضمّة والفتحة والكسرة ضمن الأصوات العربيّة.

---

[1]ـ في البحث اللغوي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطيّة، ص: 91.

[2]ـ سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، ج: 1، ص: 28.

[3]ـ موسيقى الشعر العربي، د. شكري محمد عياد، أصدقاء الكتاب، ط: 3، 1998، ص: 8.

[4]ـ علم الأصوات، د. حسام بهنساوي، ص: 121.

ويُلاحَظ أنّ سيبويه قد تميّز عن الخليل وتقدّم بالدراسة الصوتيّة خطوة جديدة حين قسم الحلق ثلاثة أقسام: "أقصى، وسط، وأدنى"؛ فأقصى الحلق الذي يخرج منه - حسبه - الهمزة والهاء والألف، هو ما يسمّيه المحدثون الحنجرة. وأمّا وسط الحلق وأدناه فهما ما يقابل الحلق في اصطلاح المحدثين[1]. كما تميّز أيضا من خلال فصله مخارج اللام والنون والراء عن بعضها خلافا للخليل الذي جمعها في مخرج واحد؛ إذْ إنّ الدراسات الصوتيّة المعاصرة تفصل بينها[2].

ويمتاز سيبويه عن الخليل كذلك بدقّة تحديد للمخارج، ويدلّ على ذلك أنّه وصل بالمخارج إلى ستّة عشر بدلا من تسعة. كما أنّه يذكر الأعضاء المشاركة في إنتاج الصوت بينما يكتفي الخليل بذكر بعضها فقط؛ فمثلا: يقول الخليل إنّ الظاء والذال والثاء مخرجها اللثّة، بينما يقول سيبويه إنّه بين طرف اللسان وفويق الثنايا، فحدّد إلى جانب اللثة - التي ذكرها الخليل أيضا - العضو الآخر وهو طرف اللسان. وهي إضافة مهمّة جدا؛ إذْ إنّ اللثة قد يتّصل بها وسط

---

[1] - انظر: أئمة النحاة، د. محمد محمود غالي، دار الشروق، جدّة، ط: 1، 1976، ص: 70.

[2] - انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 1، 1987، ص: 226 - 228.

اللسان أو جزء آخر منه، بينما يتميّز الخليل بالمصطلحات التي وضعها مثل: "حلقيّة، لهويّة، شجريّة"، وهي مصطلحات يرى بعض الدارسين أنها لا بأس بها ويمكن استعمالها في الدرس الحديث للأصوات العربية(1).

---

(1) ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: 106.

## ثالثا- مخارج الأصوات بعد سيبويه:

وهكذا قدّم سيبويه جهدا قيّما صار أساسا ومرتكزا للدارسين العرب من بعده، ولذلك نجد من أتى بعده يكرّر ما قاله دون إضافات ذات بال؛ إذ لم يقدّم مخالفوه جهدا يغيّر مجرى الدراسات الصوتيّة العربيّة في المخارج.

فالمبرّد مثلا خالفه في عدد أصوات العربيّة حين رأى أنّها ثمانية وعشرون، بينما قال سيبويه إنّها تسعة وعشرون، ومدار الخلاف هنا حول الهمزة؛ فالمبرّد أسقطه لأنّه "لاحظ ما يلحقه من النقص والتغيير فتارة يكتب واوا، وتارة ياءا وألفا"[1]. والمبرّد مخطئ في ذلك وقد ردّ ابن جنّي على هذا التوجّه في سرّ صناعة الإعراب[2]، ويأتي خطأه من خلطه "مفهوم الهمزة بالألف لاتفاقهما بالرّسم"[3].

وأمّا ابن دريد (ت 321 هـ) في مقدّمة "الجمهرة" فهو لم يخرج عمّا سطره سيبويه إلاّ في جزئيات صغيرة كمخرج الضاد؛ فهو في الكتاب "أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس"[4]، بينما

---

(1)- الفكر الصوتي عند ابن دريد، د. خليل إبراهيم العطيّة، مجلّة كليّة الآداب، البصرة، س: 14، ع: 16، ص: 175.

(2)- سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، جـ: 1، ص: 51.

(3)- الفكر الصوتي عند ابن دريد، د. خليل إبراهيم العطيّة، ص: 175.

(4)- الكتاب، سيبويه، جـ: 4، ص: 433.

مخرجه عند ابن دريد من وسط اللسان مما يليه إلى الحافة اليمنى ، فالضاد التي وصفها ابن دريد ترتكز على حافة اللسان في نقطة يبدو أنها أكثر تقدما جهة سقف الحنك الصلب على الأضراس الأمامية[1].

ويُخالف الفرّاءُ (ت 207 هـ)، وقُطْرُب (ت 206 هـ)، وأبو عمر الجرمي (ت 255 هـ)، وابن كيسان (ت 299 هـ)، يخالفون سيبويه في مسألة جزئية أيضا ؛ حيث قالوا إنّ مخارج الأصوات العربيّة أربعة عشر وليست ستة عشر كما ذكر سيبويه ، وما ذلك إلاّ لأنهم جمعوا اللام والراء والنون في مخرج واحد بينما جعل سيبويه لكلّ صوت منها مخرجا مستقلاّ[2].

---

[1] ـ الفكر الصوتي عند ابن دريد ، د. خليل إبراهيم العطيّة ، ص : 178.

[2] ـ انظر : في البحث الصوتي عند العرب ، د. خليل إبراهيم العطيّة ، ص : 24 ـ 25. و النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، تصحيح : محمد علي الضباع ، دار الكتاب العربي ، جـ : 1 ، ص : 199.

# الفَصْلُ الثَّالِثُ

# صفاتُ الأصوات

أولًا- صفات الأصوات عند الخليل.

ثانيا- صفات الأصوات عن سيبويه.

ثالثا- صفات الأصوات بعد سيبويه.

رابعا- منهج التفكير الصوتي عند العرب.

لقد انتبه أبو الأسود الدؤلي في وقت مبكر جداً لإحدى الصفات، وهي: الغنّة[1] التي تقلب على الميم والنون خاصّة. كما نجد في مقدّمة العين إشارات جيّدة إلى صفات الأصوات، لكن يتّضح أنّ الخليل لم يُفْرِدْ لها موضعا أو مبحثا مُخصّصا كما فعل مع المخارج. ومن الحريّ بنا ألاّ نعجب لذلك البتّة لأنّ حصر وتعداد الصفات لا يخدمه فيما يهدف إليه من ضبط نظام لترتيب موّاد معجمه، كما أنّ تحديد مخارج الأصوات يمكن أن يتمّ دون التطرّق إلى صفاتها فلذلك لم يركّز اهتمامه على الصفات.

## أولاً- صفات الأصوات عند الخليل:

### 1- الصفــات العامّــة:

✓ صحيحة/هوائيّة:

قسم الخليل الأصوات العربيّة إلى فئتيْن: "صحيحة/هوائيّة". يقول: "في العربيّة تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومخارج، وأربعة هوائيّة وهي الواو والياء والألف اللّيّنة والهمزة"[2].

هنالك إذن أصوات صحيحة وأخرى هوائية؛ أي بالتعبير الصوتيّ الحديث: صوامت وصوائت. وقد فهم الخليل هاتين الفئتين

---

(1) انظر: نزهة الألباء، أبو البركات الأنباري، ص: 9.
(2) العين، الخليل بن أحمد، ج: 1، ص: 64.

فهما مطابقا لما تقوله الدراسات الصوتيّة الآن ؛ فالهوائية هاوية في الهواء تخرج من الجوف[1]، فيه أصوات صرفة "لا تقع في مَدْرَجَةٍ من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة"[2]، وبالتالي لا يوجد حائل يعترض الهواء في أثناء خروجه من الجوف - أي الرئتين - وذلك مطابقٌ لمذهب الدراسات الحديثة التي تقرّر مع الخليل بأنّ هذه الفئة "تتكوّن باندفاع تيّار الهواء في مجراه من خلال الحلق والفم دون عائق أو عقبة تعترض مجرى الهواء"[3]. ولإدراك الخليل لهذه الميزة في الصوائت يؤدّي - حتما - إلى أنّه أدرك ميزة الصوامت وهي وجود حائل يعترض طريق الهواء.

وإنْ أُخذ على الخليل شيءٌ في هذا التقسيم فإنّما هو عدم دقّة مصطلحيْه: "الصحاح والهوائية" ؛ فـ: "الصحاح" لا يمتّ بصلة كبيرة إلى الصوامت وخصائصها، وإنما هو مصطلح صرفيّ مقابل

---

[1]- العين، الخليل بن أحمد، جـ: 1، ص: 64.

[2]- السابق، الصفحة نفسها.

[3]- أصول تراثية في علم اللغة، د. كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط: 2، 1985، ص: 155. وانظر: مباحث في اللسانيات، أحمد حسّاني، ص: 72.

لـ: "العلل"، فالحروف الصحاح - كما يقول الخليل - هي "التي لا تتغيّر عن حالها أبدا"[1].

وأمّا مصطلح "الهوائيّة" فإنّه أكثر توفيقا من الأوّل لأنّه على الأقلّ يدخل ضمن مجال الأصوات ومتعلّق بخصائص صوتيّة بحتة لا صرفيّة، فهو يدلّ على عمق المخرج وكأنّما هو موجود في الرئتين. لكنّه توفيق غير كافٍ مقابلة بمصطلح "الصوائت" المعتمد في الدراسات الحالية؛ لأنّه يدلّ على خاصيّة صِرْفة لموضع المخرج بينما يركّز مصطلح "الصوائت" على جانب مميّز فيها وهو قوّة وضوحها في السمع أكثر من الصوامت.

✓ <u>ذلاقة/إصمات:</u>

يذهب بعض الدارسين إلى أنّ الخليل وضع تقسيما آخر في مجال صفات الأصوات وهو: "الذلاقة/الإصمات". ويقول د. خليل العطيّة إنّه "تقسيم تفرّد به العلماء العرب ولا يعرفه المحدثون"[2]. والذلاقة عند الخليل تشمل أصوات: "م، ب، ف الشفوية، ل، ر،

---

[1] - انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، تحـ: عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964، جـ: 1، ص: 50.

[2] - في البحث الصوتي عند العرب، د.خليل إبراهيم العطية، ص: 52.

ن الذلقية"، وقد سُحِبَ عليها جميعا مصطلح الذلاقة على جهة التغليب[1].

وهذا المصطلح ،أي الذلاقة، مبنيٌّ على أساس كثرة ورو هذه الأصوات في أبنية الكلمات، وسبب ذلك كما يرى الخليل سهولة نطقها[2]. أمّا الإصمات فيشمل بقيّة الأصوات، ويذهب الخليل إلى تسميتها بـ: "المصمتة" لأنّها "أصْمِتَتْ فلم تدخل في الأبنية كلّها، وإذا عريت من حروف الذلاقة قلّت في البناء"[3].

لكن يبدو أنّ هذا التقسيم؛ أي "الذلاقة/الإصمات" لا يمكن إدراجه ضمن مبحث صفات الأصوات لأنّه قائم على أنّ "... هذه الحروف الستّة هي أكثر الحروف شيوعا في الكلام العربيّ... دون النظر إلى مخارجها أو أيّ ناحية من نواحي الدراسة الصوتيّة"[4].

2. صفات الأصوات المفردة:

✓ الهمزة: يصف الخليل هذا الصوت بأنّه مَهْتُوتٌ مضغوط[5].

---

[1]. انظر: البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر، ص: 76.

[2]. انظر: العين، الخليل بن أحمد، جـ: 1، ص: 58.

[3]. تهذيب اللغة، الأزهري، جـ: 1، ص: 51.

[4]. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: 110 ـ 111.

[5]. انظر: العين، الخليل بن أحمد، جـ: 1، ص: 58.

وبـتُ لغة "شبه العَصْر للصوت"[1]؛ إنّ الهمزة تتصّف بصعوبة نطقيّة وكلفة عضليّة أكثر من الأصوات الأخرى، وذلك ما تقرّره الدراسات الحديثة أيضا[2].

✓ الهاء: يصف صاحب العين هذا الصوت بأنّه مهتوت؛ أي تتمّ بكلفة عضليّة كبيرة، بينما يقول في موضع آخر إنّ الهاء هشّة ليّنة[3]، فاجتمعت بذلك صفتان متناقضتان في صوت واحد.

والذي يمكن الأخذ به هو أنّ الخليل أخطأ في حكمه الأوّل على الهاء، ولربّما يعود ذلك إلى الطريقة التي اتّبعَها في تحديد مخارج الأصوات؛ فحين ننطقُ الهاء مسبوقة بألِفٍ نشعر ببعض الكلفة العضليّة، أمّا إذا نُطقَتْ دون ألِفٍ فنُلْفِها هشّةً ليّنة كما وصفها هو وكما تصفها الدراسات الصوتية الحديثة، فكما رأى الخليل أنّ الهاء "نَفَسٌ لا اعْتِيَاصَ فيه"[4]، رأى علم الأصوات أن الهاء يوصف بـ: "الصوت الناقص حيث إنّه عبارة عن الهواء المارّ بالأوتار الصوتيّة دون أيّ عارض يعترض طريقه"[5]

---

(1) ـ لسان العرب، ابن منظور، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 2003، ج: 2، ص: 116. (هتت).

(2) ـ انظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 91.

(3) ـ انظر: العين، الخليل بن أحمد، ج: 1، ص: 61.

(4) ـ السابق، الصفحة نفسها.

(5) ـ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، ص: 230. 231.

✓ الألف: وصفَهُ الخليل بأنّه ليّنٌ[1]. وهذا الوصف دقيق جدًا حيث يكون الجهاز النطقيّ في حالة قريبة من الحالة الطبيعية أثناء نطق هذا الصائت أكثر ممّا يكون عليه في نطق الصوائت الأخرى؛ إذ يكون أقصى اللسان مرتفعا إلى أقصى حدّ ممكن نحو الحنك الأعلى وتكون الشفتان في حالة استدارة حين النطق بالواو[2]، بينما يكون مقدّم اللسان مستويا في قاع الفم والشفتان منفرجتان[3] عند نطق الألف.

✓ العين: يرى الخليل أنها أنصع الحروف جرسا[4]. والجرس "فهمُ الصوت في سكون الحرف"[5]؛ أي الأثر الصوتي الذي تدركه حالة النطق بالصوت ساكنا. ويبدو هذا الوصف دقيقا جدًا؛ فالعين عند القدامى متوسّط بين الشدّة والرخاوة[6]، وقد أقرّ علم

---

(1) ـ انظر: العين، الخليل بن أحمد، جـ: 1، ص: 61
(2) ـ انظر: دراسات في التجويد والأصوات اللغوية، د.عبد الحميد محمد أبو سكين، ص: 75، 74.
(3) ـ السابق، ص: 73.
(4) ـ انظر: العين، الخليل بن أحمد، جـ: 1، ص: 60. و: تهذيب اللغة، الأزهري، جـ: 1، ص: 45.
(5) ـ تهذيب اللغة، الأزهري، جـ: 1، ص: 50.
(6) ـ انظر: الكتاب، سيبويه، جـ: 4، ص: 435. و: المقتضب، المبرّد، جـ: 1، ص: 196.

الأصوات الحديث أنّ الصوامت التي تتصّف بهذه الصفة أعلى قوّة إسماع في فئتها[1].

✓ القاف: يذكر الخليل أنّ القافَ أصحّ الأصوات العربيّة جرْساً[2]. والظاهر أنّ ذلك صحيح إلى حدّ بعيد؛ فصوت القاف أحد أصوات القلقلة، بل إنّ "أصل هذه الحروف القاف"[3]. وتؤدّي القلقلة الشديدة التي يتصّف بها هذا الصوت نتيجة اشتراك عضويْن رطبيْن متحركيْن في تشكيله وهما: "اللهاة" و"مؤخّر اللسان"، تؤدّي هذه القلقلة الشديدة إلى بذل جهد أكبر حتّى يُنطق هذا الصوت بوضوح[4].

ومن بين أهمّ ما قدّم الخليل في مجال صفات الأصوات تلك الموازنات بين الأصوات المتقاربة المخارج:

✓ العين/الحاء: يقول "لولا بحّةٌ في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين"[5]. والظاهر أنّ مقصده هو أنّ الفرق بين الحاء والعين همس الأوّل وجهر الثاني؛ فالقداح البُحُّ في اللغة هي تلك

---

(1) انظر: اللغة وعلم النفس، موفق الحمداني، ص: 82. (مدرج بيرسن).
(2) انظر: العين، الخليل بن أحمد، ج: 1، ص: 60.
(3) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج: 1، ص: 203.
(4) انظر: علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، ص: 160-161.
(5) العين، الخليل بن أحمد، ج: 1، ص: 64.

التي لا أصوات لها[1]، وهذا الفرق هو الذي رصده المحدثون حين قالوا إنّ "النظير المجهور للحاءِ العينُ"[2].

✓ الحاء/الهاء: يرى الخليل أنّه "لولا هتّةٌ في الهاء... لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء"[3]. وقد مضى ذكر الخطأ الذي وقع فيه الخليل حين وصف الهاء بأنّها مهتوتة. لكن الذي يُنظَرُ إليه هنا هو طريقة المقابلة بين الأصوات المتقاربة المخرج مُميِّزاً بينها من خلال صفاتها؛ فالهاء صوتٌ مهتوت أي إنّه يتطلّبُ جهداً وتوتّرا عضليّا عند نطقه، فهو - من زاوية النظر هذه - انفجاريّ والحاء مقابله الاحتكاكيّ.

✓ الدال/الطاء/التاء: يقوا الخليل "الدال لانتْ عن صلابة الطاء وكَزَازَتِها وارتفعت عن خفوت التاء"[4]، فالطاء إذن صوتٌ كَزٌّ صلب، ولعلّ المقصود بذلك الإطباق الذي يميّزه عن الدال؛ إذْ إنّ الكزازة في لغة العرب تعني "اليُبْس والانقباض"[5]، وفي الإطباق انقباض ويُبْسٌ للّسان.

---

[1] - انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج: 2، ص: 475. (بحح).

[2] - دراسات في التجويد والأصوات اللغوية، د.عبد الحميد محمد أبو سكين، ص: 87.

[3] - العين، الخليل بن أحمد، ج: 1، ص: 64.

[4] - السابق، ص: 60.

[5] - لسان العرب، ابن منظور، ج: 5، ص: 465. (كزز).

وهذا الفرق بين طاء والدال هو ما تقرّ به الدراسات الحالية حيث تقول عن الطاء: "ولهذا كان نظيره في القديم[*] صوت الدال فهما متفقان في المخرج وفي الجهر، والفرق بينهما أنّ الطاء مطبقة والدال مستفلة"[1].

أمّا المقصود بـ: "خفوت التاء" فهو - ولاشكّ - همس هذا الصوت، وهو مطابق لمذهب المعاصرين الذين يقولون بأنّ التاء هي الصوت المهموس الوحيد - حسب النطق القديم - ضمن المثلّث الذي يضمّ والطاءَ والدالَ؛ لأنّ الأخيرين مجهوريْن.

✓ الزاي/الصاد/السين: ورد في مقدّمة العين أنّ السين صارت بين الصاد والزاي كحال الدال[2] بين الطاء والتاء. والمقصود بذلك أنّ الزاي لانت عن صلابة الصاد وارتفعت عن خفوت السين؛ فالفرق

---

[*] - المقصود هنا النطق القديم للطاء الذي يتّصف بالجهر بينما النطق العربيّ المعاصر للطاء مهموس.

[1] - دراسات في التجويد والأصوات اللغوية، د.عبد الحميد محمد أبو سكين، ص: 107.

انظر: ما ذكره الكوفيون من الإدغام، السيرافي، تح: د.صبيح التميمي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ص: 64.

[2] - انظر: العين، الخليل بن أحمد، جـ: 1، ص: 60. وانظر تفصيل ذلك في: ما ذكره الكوفيون من الإدغام، السيرافي، ص: 64.

بين الزاي والصاد الإطباقُ، والفرق بين الزاي والسين الجهر في الأول مقابل الهمس في الثاني، وهو نفس ما تقرّره الدراسات الآن[1].

ويبدو لي أنه لا وجهَ للأخذِ بظاهر نصّ "العيْن" الذي يضع السين بين الزاي والصاد؛ لأنّ الأصحّ والأكثر تناسقا مع علاقة الدال بالطاء والتاء التي ذكرها سابقا وعَطَفَ عليها علاقة السين والصاد والزاي.

وجدير بالذكر هنا أنّ موازنات الخليل هذه تذكّر بما توصّل إليه علماء الأصوات المعاصرون حين تحدّثوا عن ثنائية : موسوم/غير موسوم التي تمايزُ بين الأصوات[2]؛ فمثلا الزاي موسوم بالجهر بينما السين غير موسوم به لأنّه مهموس، والطاء موسوم بالإطباق بينما الدال غير موسوم به لأنّه مُسْتَفِلٌ.

---

[1]- انظر: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، ص: 175. و: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: 77.

[2]- انظر: النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، فاطمة الطبّال بركة، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 1، 1993، ص: 47.

## ثانيا- صفات الأصوات عند سيبويه:

إذا كان الخليل قد قدّم مجموعة ملاحظات متناثرة فيما يخصّ صفات الأصوات، فإنّ سيبويه قدّم في الكتاب جهدا منظّما وتعريفات دقيقة لكلّ واحدة من الصفات. وقد توزّع عمله على ثلاثة فروع: الصفات العامة، صفات المجموعات، صفات الأصوات المفردة.

### أ- الصفات العامّة:

✓ جهر/همس: إنّ سيبويه هو أوّل من تكلّم عن هاتين الصفتيْن بدقّة وأعطاهما مصطلحيهما اللذين لا يزالان معتمديْن لحدّ اليوم في الدراسات الصوتيّة.

والصوت المجهور عنده هو الذي "أُشْبِعَ الاعتماد في موضعه ومَنَعَ النَّفَسَ أنْ يجري معه حتى ينقضيَ الاعتمادُ عليه ويجري الصّوتُ"[1]، وأمّا المهموس فهو ذلك الذي "أُضْعِفَ الاعتماد في موضعه حتى جرى النَّفَسُ معه"[2].

والفرق بين التعريفين هو "جريان الصوت في الأوّل وعدم جريانه في الثاني. والمقصود بـ: "جريان الصوت" هو الجهر الذي يُسبّبه

---

[1] الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 434.

[2] السابق، الصفحة نفسها.

تذبذب الوترين الصوتيْين في الحنجرة، وأمّا إشباع الاعتماد فيكون في موضع الصوت؛ أيْ مَخرجُه[1].

ويؤكّد ذلك قوله: "وإنّما الفرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصِلُ إلى تبيين المجهور إلاّ أنْ تُدخِلَهُ الصوت الذي يخرج من الصدر، فالمجهورة كلّها هكذا يخرج صوتهنّ من الصدر ويجري في الحلق... أمّا المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها"[2]؛ أيْ إنّ الصوت المجهور مزدوجُ المَنْشَئِ، فهو نتيجة صوت تذبذب الوترين الصوتين في الحنجرة والصوت المُنشَئ في المخرج، أمّا الصوت المهموس فهو وحيد المَنشئ لأنّه ينتج عن المخرج فقط.

أمّا الفرق الآخر بين المجهور والمهموس فهو"إشباع اعتماد" الأوّل و"ضعف اعتماد" الثاني؛ أيْ إنّ نطق الصوت المجهور ـ عموما ـ يتطلّب جهدا عضليّا أكبر ممّا يتطلّبه الصوت المهموس. وذلك منطقيٌّ جدّا؛ ويدلّنا عليه أنّ القوّةَ التي تُبذَلُ في نطق الميم والنون هي: 1.85 و: 2.11 ميكروواط على الترتيب، بينما يتطلّبُ نطق أصوات الكاف والسين والفاء المهموسة: 0.34، 0.94، 0.08 ميكروواط على

---

[1]ـ انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د.عبد الصبور شاهين، ص: 200.

[2]ـ الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس، ص: 121ـ 122.نقلا عن شرح السيرافي للكتاب.

التوالي[1]، وجليٌّ جدًّا الفرق بين الطرفيْن: صوتا الميم والنون المجهوران، وأصوات الكاف والسين والفاء المهموسة.

وفيما يخصّ منع النفَس عن الجريان مع المجهور فالنصّ الوارد في الكتاب يدلّ على أنّه منعٌ تامٌّ بينما الأمر غير ذلك، فتصوّره هذا "منطقيٌّ لا واقعيّ؛ لأنّ الواقع يُؤيِّدُ أنّ منع النفَس جزئيّ لا كلي"[2].

وعلى أساس الفروق السابقة حدّد سيبويه الأصوات المجهورة والمهموسة بشكل مطابق لما يقرّره علم الأصوات الحديث، إلاّ ثلاثة أصوات عدّها مجهورة بينما هي في النطق المعاصر مهموسة، فالقاف والطاء تطوّرا من الجهر إلى الهمس[3]. أمّا الهمزة فإنّ بعضا من الدراسات الحالية ترى أنّ سيبويه أخطأ في اعتبارها ضمن المجهورات لأنّها مهموسة[4]، بينما تذهب دراسات أخرى إلى القول بانتفاء تطبيق صفتي الجهر والهمس على الهمزة لأن الوترين الصوتيّين نفسهما يشاركان في نطقها بانطباقهما على بعضيْهما سادّيْن مجرى الهواء سدّا كليّا فيكونان بذلك في وضع غير وضع الجهر

---

[1] - انظر: اللغة وعلم النفس، د.موفق الحمداني، ص: 96.
[2] - أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د.عبد الصبور شاهين، ص: 202.
[3] - انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: 86، 63.
[4] - من بين تلك الدراسات: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، ص: 125.

والهمس معًا[1]. والذي أرجحه أنّ سيبويه لم يُخطئ في عدّ الهمزة مجهورة لأنه كان دقيقًا جدًا حين حدّد صفات كلّ الأصوات الأخرى، فلمَ نقول هنا بأنّه أخطأ؟ والذي أميلُ إليه هو أنّ الهمزة تطوّر كالقاف والطاء من الجهر إلى الهمس.

✔ شدّة/رخاوة/توسّط: الصوت الشديد هو ذلك "الذي يمنع الصوت أنْ يجري فيه"[2]، وأمّا الرّخو فهو الذي تُجري فيه الصوت إنْ شِئت[3]؛ وعليه فهذا التقسيم قائم على أساس التحكّم في مجرى الهواء[4].

فالشديد يَحبسُ النفَسَ لأنّه يُغلقُ مجرى الهواء إغلاقا تامًا، مثل الباء الذي لا يمكن مدُّ النطق به، وذلك ما عبّر عنه "كانتينو" معلقًا على تعريف سيبويه بقوله إنّ الصوت الشديد صوتٌ آني"[5]. أمّا الرّخو فإنّه لا يحبس النّفَس بل يجري معه؛ أي إنّ مجرى الهواء يُغلَق

---

[1]- انظر: علم الأصوات العام، بسّام بركة، ص: 115.117.

[2]- الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 434.

[3]- انظر: السابق، الصفحة نفسها.

[4]- انظر: البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر، ص: 86.

[5]- انظر: أصول تراثية في علم اللغة، د. كريم زكي حسام الدين، ص: 160. نقلا عن: دروس في علم أصوات اللغة العربية، كانتينو.

جزئياً، كالسين مثلا الذي يمكننا النطق به مدّة طويلة، وهو ما عبّر عنه كانتينو بقوله إنّه "صوتٌ مُتَمادٌّ... يمكن الاستمرار في نطقه"[1].

ولا خلاف بين سيبويه والمحدثين في هذين المفهومين، وإنما الخلاف حول الأصوات التي ينطبق عليها المفهومان، وهو محصورٌ فقط في صوتي: الجيم والضاد. فالجيم كما يرى سيبويه صوت شديا. فيما يرى المحدثون أنّه مُركّبٌ من الصفتيْن لأنّ "شدّته تتصّل في نهايتها ببعض الرّخاوة التي تُنتِجُ ما يُسمّى بالتعطيش"[2]. وأمّا الضاد فقد جاء في الكتاب أنّه رخوٌ بينما يذهب المحدثون إلى كونه شديداً[3]، الأمر هنا يعود إلى التطوّر الذي حدث لهذين الصوتين لا إلى خطإ سيبويه.

وهناك مجموعة أصواتٍ لا تنتمي إلى الرخوة ولا إلى الشديدة، وهي: "المتوسّطة"، وتشمل عند سيبويه أصوات: "ع، ل، ن، م، ر"[4]. وتتّفق بعض الدراسات الحديثة مع سيبويه تماما في هذه

---

[1]. انظر: أصول تراثية في علم اللغة، د. كريم زكي حسام الدين، ص: 160. نقلا عن: دروس في علم أصوات اللغة العربية، كانتينو.

[2]. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربيّ، د. عبد الصبور شاهين، ص: 229.

[3]. انظر: الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس، ص: 48ـ 62.

[4]. انظر: الكتاب، سيبويه، جـ: 4، ص: 435.

القائمة[1]، بينما يخالفه آخرون حين يرون صوت العين رخواً[2].
"ووصف سيبويه لها أصحّ من وصف المعاصرين؛ إذ يبدو أنّها تشترك مع الحاء في أنّها نتيجة تَرَدُّد لسانُ المزمار في الحلق"[3].

✓ صوامت/صوائت: لم يُصرّحْ سيبويه بهذا التصنيف؛ إذْ لا نجد لديه إشارة واضحة إلى وجود الصوائت قسماً مُستقلاً عن الصوامت، إلاّ أنّه يمكن أنْ يُستَشَفَّ من جَمْعِهِ بين أصوات الواو والياء والألف، فقد صنّفها معاً على أساس اتّساع مخرجها أكثر من غيرها، وجعلَ الألف أشدّها اتّساعَ مَخْرجٍ "لأنّك قد تضمّ شفتيك في الواو وترفع لسانك في الياء قِبَلَ الحنك"[4]. وهذا التوجّه نحو الصوائت على أساس اتّساع مخرجها ودور اللسان والشفتيْن ممّا يؤخذ به في الدراسات الحديثة.

وقد ربط سيبويه بين سعة مخارج الصوائت وصفةٍ هامّة لها وهي: "خفاؤها"، يقول: "وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتّساع

---

[1]. من بينها: دراسات في التجويد والأصوات اللغوية، د.عبد الحميد محمد أبو سكين، ص: 52، 86.

[2]. انظر مثلا: مناهج البحث في اللغة، د.تمام حسان، ص: 130. و: علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، ص: 178.

[3]. أئمّة النحاة، د. محمد محمود غالي، ص: 72.

[4]. الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 436.

مخارجها"[1]. وليس معقولا أنْ أن يكون قصده بـ: "أخفاها"[*] أنها أقلّ قوّة في الإسماع من الصوامت لأنّه يعدّها ضمن المجهورات، وهي بالتالي أعلى قوّة إسماع من المهموسات على الأقلّ.

والذي يُطمأنُّ إليه هو أنّه يقصد بـ"الخفاء" الظهورَ؛ فقد جاء في لسان العرب "خفيْتُ الشيء أخفيه: كتمتُه، وخفيْته أيضا: أظهرتُه، وهو من الأضداد"[2]. فهذه الصوائت - إذنْ - أوضح الأصوات في السمع وأظهرها لأنّ مخارجها أشدّ اتّساعا من مخارج غيرها، وهو رأيٌ معمول به في الدرس الصوتيّ المعاصر[3].

ولمْ يكتف سيبويه بذلك بل رتّبها حسب سعة مخارجها وبالتالي قوّة إسماعها، يقول: "وأخفاهنّ وأوسعهنّ مخرجا الألف ثمّ الياء ثمّ الواو"[4]، ويقول علم الأصوات الحديث إنّ أجهر الأصوات،

---

[1] الكتاب، سيبويه، جـ: 4، ص: 436.

[*] ربّما كان يتّجه بوصف الخفاء نحو المخرج، أي إنّ مخارجها مخفية لا تظهر كبقيّة الأصوات الأخرى، وهو قريب من تعبير الخليل عنها بأنها جوفيّة أو هوائية.

[2] لسان العرب، ابن منظور، جـ: 14، ص: 290. (خفا).

[3] انظر: أسس علم اللغة، ماريو باي، تر: د. أحمد مختار عمر، ص: 78.

[4] الكتاب، سيبويه، جـ: 436. ولافتٌ للنظر هنا توظيفه "ثمّ" لترتيبها، وهي إشارة إلى ترتيب صارم ومتباعد بينها، ولعلّه يشير بذلك إلى ما ذكره من دور ارتفاع اللسان في نطق الياء ودور الشفتين في نطق الواو، فالأوّل في وسط الفم والثاني في طرفه، بينما الألف لا تعتمد على شيء من الفم.

العربيّة الألف ثم الياء والواو الصائتان[1]، وجليٌّ جدّاً ما بين القولين من تطابق.

## 2. صفات المجموعات:

✓ الإطباق: يَصفُ سيبويه المجموعة المكوّنة من أصوات: الصاد، الضاد، الطاء، والظاء بـ: "الإطباق"؛ أي إنّ اللسان يرتفع معها إلى الحنك الأعلى[2]. ويرى أنّ الصوت في حالة الإطباق "محصورٌ فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحرف"[3]؛ أيْ في ذلك التجويف الناتج عن تقعّر اللسان، وذلك "ما يؤدّي إلى قيمةٍ صوتيّةٍ معيّنةٍ تلوّن الصوت برنين خاصّ تمتاز بها الأصوات المطبقة عن غيرها"[4]، وهذه القيمة هي التفخيم. وهذه العلاقة بين الإطباق والتفخيم لم يُشِرْ إليها سيبويه.

ونجد أنّ علماء الأصوات الآن يوافقون سيبويه فيما قاله عن هذه المجموعة؛ فتحليله للجانب النطقيّ لعمليّة الإطباق ليس عليه من مزيد في كتب المحدثين، فقد اكتفوا بما قال تقريبا[5].

---

[1] ـ انظر: اللغة وعلم النفس، د. موفق الحمداني، ص: 82. (مدرّج يسبرسن).

[2] ـ انظر: الكتاب، سيبويه، جـ: 4، ص: 436.

[3] ـ السابق، الصفحة نفسها.

[4] ـ الألسنية العربية ـ1ـ، ريمون طحّان، ص: 52.

[5] ـ انظر مثلا: علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، ص: 155، 174، 175. و: الألسنية العربيّة ـ1ـ، ريمون طحّان، ص: 51 ـ 52.

✓ الصفير(*): يقول سيبويه عن أصوات الصاد والزاي والسين إنّها أندى صوتاً في السمع[1]، ومعنى ذلك أنّها أبْعَدُ مذهبا وأرفع صوتاً من غيرها؛ فقد جاء في لسان العرب "فلانٌ أندى صوتا من فلان أي أبعدُ مذهبا وأرفعُ صوتا"[2].

إذنْ فهذه الأصوات تصلُ مدى أبعدَ من غيرها، وذلك أمْرٌ منطقيّ للغاية فالضيق الشديد لمخارجها يجعلها كذلك؛ فـ: "على قدر ضيق المجرى عند المخرج يكون عُلُوُّ الصفير ووضوحه"[3]. ويدلّنا على بُعْدِ مداها أيضا أنّنا حين ننطق المقطع "so" فإنّ الصوت "s" الصفيريّ يكون على بُعد مائة وعشرين قَدَماً عندما يبدأ الصوت "o" في الظهور[4]، وذلك بالرغم من أنّ هذا الأخير من الصوائت.

✓ الغُنّة: يقول صاحب الكتاب عن صوتي الميم والنون إنّهما أغنّان؛ أيْ إنّ الصوت معهما "إنّما تُخرجه من أنفك واللسان لازمٌ

---

(*) - لم يرد في معالجة سيبويه للأصوات مصطلح "الصفير"، وإنّما آثرتُ استعماله هنا لأنّني لم أجد مصطلحا مناسبا من وضع سيبويه.

(1) - انظر: الكتاب، سيبويه، جـ: 4، ص: 464.

(2) - لسان العرب، ابن منظور، جـ: 15، ص: 367. (ندي).

(3) - الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس، ص: 76.

(4) - انظر: الأدب واللغة، المكتب العالمي للبحوث، منشورات المكتب العالمي، بيروت، 1983، ص: 51.

لموضع الحرف"(1). فالصوت في هذه الحالة ، إذنْ ، يمرّ عبر التجويف الأنفيّ حين يُغلق ممرّه في الفم ، وهو الوصفُ المتداولُ في الدراسات الصوتيّة الحديثة(2).

✓ الترديد: يجعل سيبويه صوتيْ الحاء والعين زمرةً واحدةً حين يصفهما بـ: "التردّد" في قوله: "... وأمّا العيْن فبين الرخوة والشديدة، تصلُ إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء"(3). والتشابه بين الصوتيْن ممّا تُقرّ به الدراسات الحديثة ؛ إذْ لا فرق بين الحاء والعيْن إلاّ همسُ الأوّل وجهر الثاني(4) ، والمقصود بالترديد في هذيْن الصوتيْن تردُّد لسان المزمار في الحلق أثناءَ نطقهما(5).

ويبدو أنّ هناك أصوات أخرى يمكن ضمّها إلى هذه الفئة لكن سيبويه لم يلْحظها كالغيْن والخاء، أو لم يلحظ علاقتها بها كالراء التي نصّ على أنّها صوت تكراري(6) ؛ إذْ لا فرق بين التردّد

---

(1). الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 435.

(2). انظر مثلا : الأصوات اللغوية، د.إبراهيم أنيس، ص: 67 - 68.

(3). الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 435.

(4). انظر مثلا: علم الصوتيّات، محمد سعيد احديد - محمد محمد زريق، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط: 1، 1991، ص: 76.

(5). انظر: أئمة النحاة، محمد محمود غالي، ص: 72.

(6). انظر: الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 435.

والتكرار سوى أنّ الأوّل يحدث في الحلق بتردّد لسان المزمار والثاني في الفم حيث يطرق طرف اللسان اللثّة طرقات متتابعة.

### 3. صفات الأصوات المفردة:

✓ الانحراف: هذه الصفة اختصّ بها صوت اللام؛ لأنّه في الأصل "حرفٌ شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت"[1]؛ أيْ أنه صوتٌ شديد انحرف إلى الرخاوة.

ويرى سيبويه أنّ طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه في أثناء نطق اللام[2]، وذلك مطابق تماما لما تقوله الدراسات الحديثة من أنه عند النطق باللام "تنشأُ عَقَبَةٌ في وسط الفم مع ترك مَنْفذٍ للهواء عن إحدى حافّتيْ اللسان أو عن حافتيْه"[3]. فنشوء العقبةِ هو مقابلٌ لقول سيبويه: "إنّ طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه"؛ لأنّه هو الذي يشكّلها بلزومه موضعه ملتصقا باللثّة، وتركْ منفذٍ للهواء هو نفس ما لاحظهُ سيبويه حين قال إنّ الصوت في اللام "ليس يخرج... من موضع اللام ولكن من ناحيتيْ مُسْتدقّ اللسان فويق ذلك"[4].

---

[1] - الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 435.

[2] - انظر: السابق، الصفحة نفسها.

[3] - علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، ص: 169. وانظر: أصول تراثية في علم اللغة، د. كريم زكي حسام الدين، ص: 168.

[4] - الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 435.

✓ التّكرار: يتّصفُ صوت الراء في الكتاب بالتكرار[1] ؛ أيْ "تتابُع طَرَقات طَرْف اللسان على اللثّة تتابعا سريعاً"[2]. ويقول سيبويه إنّهُ "لو لمْ يُكرَّر لم يَجْرِ فيه الصوت"[3] ؛ بمعنى أنّ التّكرار شرطٌ أساسيٌ لحدوث هذا الصوت بالطريقة المُثلى، فبدون التّكرار لا يكون هذا الصوت فصيحاً[4]، وما قاله سيبويه عن صوت الراء وافقه عليه المحدثون وأخذوا به في دراساتهم[5].

---

[1] - انظر: الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 434.

[2] - علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، ص: 171.

[3] - الكتاب، سيبويه، ج: 4، ص: 435.

[4] - انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، ص: 228.

[5] - انظر مثلا: السابق، ص: 228، و: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص: 67.

## ثالثاً ـ صفات الأصوات بعد سيبويه:

لم يقدّمْ الذين جاؤوا بعد سيبويه إضافات ذات أهمّية كبيرة، فقد ظلّوا يكرّرون تعريفاته بلفظها كما فعل ابن السرّاج والزجّاجي وابن جنّي [1]. وحتى تلك الإضافات التي قُدِّمت كانت غير قادرة على لفت الانتباه بشكل كبير، وسأعرض هنا لأهمّها.

أ. في الصفـــات:

✓ الاستعلاء/الاستفال: الاستعلاء هو التّصعُّدُ في الحنك [2]، أي تسجيل ارتفاع في اللّسان نحو الحنك الأعلى أثناء النطق. وقد جُمِعَت الأصوات المُستعلِيَةُ في قولهم: "خص ضغط قظ" [3]، وما عداها من الصوامت هي أصواتٌ مُستفِلةٌ. ويبدو جليّاً أنّ هذا التقسيم ليس إلا توسُّعاً في مفهوم الإطباق الذي جاء به سيبويه.

✓ القلقلـــة: هي صفةٌ لأصواتٍ جُمِعَتْ في قولهم "قطب جد" [4]. والسبب في تسميتها بذلك ـ كما يرى المبرّد ـ أنّها في حالة

---

(1) انظر على سبيل المثال: الأصول في النحو، ابن السرّاج، تح: د.عبد الحميد الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 3، 1988، جـ: 3، ص: 401 ـ 404. و: الجُمل، الزجّاجي، تح: محمد بن أبي شنب، مطبعة كلنكسيك، باريس، ط: 2، 1957، ص: 375 ـ 378. و: سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، جـ: 1، ص: 60ـ61.

(2) انظر: سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، جـ: 1، ص: 68.

(3) انظر: النشر، ابن الجزري، جـ: 1، ص: 202.

(4) انظر: السابق، ص: 203.

السكون تُضغط فيحتاج آنذاك إلى ظهور صوت شبيه بالنبرة[1]. وهذه الصفة - أي القلقلة - قد ذكرها سيبويه لكنّه يركّز عليها ولم يُفصِّلْ فيها بقدر تركيزه وتفصيله في الصفات الأخرى[2].

✓ التّفشّي: وهي صفة للشّين "لأنّه تفشّى في مخرجه حتى اتّصل بمخرج الطاء، وأضاف بعضهم إليها الفاء والضاد، وبعضٌ: الراء والصاد والسين والياء والثاء والميم"[3]؛ إذنْ، فالشين ينتشر هواؤه عند نطقه في الفم كلّه تقريبا على مدى التّلامس الطفيف بين أسنان الفكّيْن العلويّ والسفليّ، وهو ما يُصطلح عليه هنا بـ: "التّفشّي".

✓ الاستطالة: وهي للضاد لاستطالة مخرجه حتّى اتّصلَ بمخرج اللام[4].

وفي مجال الاجتهادات في الصفات يُذكرُ أيضا أنّ ابن دريد خالفَ سيبويهَ في جزئيّات، وكان بعضها غير مُوفّقٍ كوصفه الكاف بالرخاوة والسين بالشدّة، وكذلك عدم ذكره الزاي ضمن الأصوات المجهورة[5].

---

[1]- انظر: المقتضب، المبرّد، جـ: 1، ص: 194.

[2]- انظر: الكتاب، سيبويه، جـ: 4، ص: 174.

[3]- النشر، ابن الجزري، جـ: 1، ص: 205.

[4]- السابق، الصفحة نفسها.

[5]- انظر: الفكر الصوتي عند ابن دريد، د. خليل إبراهيم العطية، ص: 181، 180.

2. في المصطلح:

كما ظهرت بعد سيبويه مصطلحات صوتيّة جديدة وأهمّها:

✓ الصّفير: لأصوات الصاد والزاي والسين، وقد صار متداولا جدّا.

✓ أخرس/مصوّت: وهما مصطلحان جاء بهما الفرّاء للدلالة على الشديد والرخو عند سيبويه[1]، لكن لم يُكتب لهما الذيوع والانتشار لأنّ مصطلحيْ الكتاب كانا أكثر دقّة بدليل ترسّخ استعمالهما عند القدامى وبعض المحدثين[*]، بينما آثر بعضهم استعمال المصطلحين المُترجمين: "انفجاري" مقابلا للشديد و: "احتكاكي" مقابلا للرخو[2].

---

[1] - انظر: ما ذكره الكوفيّون من الإدغام، السيرافي، ص: 43.

[*] - من كتب القدامى: المقتضب، المبرّد، جـ: 1، ص: 194، و: همع الهوامع. السيوطي، تحـ: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلميّة، الكويت، 1979، جـ: 6، ص: 297. ومن كتب المحدثين: دراسات في التجويد والأصوات اللغوية، د.عبد الحميد محمد أبو سكّين، ص: 50. و: علوم اللغة العربيّة في الآيات المعجزات، د. نشأة محمد رضا ظبيان، دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 1997، ص: 30.

[2] - من بين تلك الدراسات: علم الأصوات، د. حسام البهنساوي، ص: 52 ـ 53. بينما تفضّل دراسات أخرى مصطلح "انحباسي" مرادفا لـ: "انفجاري" مثل: مدخل في الصوتيات، عبد الفتّاح ابراهم، دار الجنوب، تونس، ص: 68.

## رابعا- منهج التفكير الصوتي عند العرب:

### 1. عند أبي الأسود الدؤلي:

نحاول هنا تبيُّن معالم المنهج المستخدم من طرف العلماء العرب في تناول مسائل وقضايا علم الأصوات ، فالملاحَظُ أنّ المنهج المسيطر والغالب على تلك الجهود منذ أبي الأسود هو المنهج الوصفيّ الذي يتمّ بـ"دراسة كيفيات الواقع النطقيّ كما عاصروه... دون تتبّع التطوّر التاريخي الذي ينالُ هذه الأصوات"[1]. فالمنهج الذي استخدمَ أبو الأسود في ملاحظة ووصف أوضاع الشفتيْن هو منهجٌ وصفيٌّ بامتياز.

### 2. عند الخليل:

وكذلك هو منهج الخليل في تحديد المخارج ؛ فقد كان سبيله إلى تحديدها وترتيبها تذوُّقُها كما ورد في مقدّمة العين "...وإنّما كان ذواقه إيّاها أنّه كان يفتح فاهُ بالألف ثمّ يُظهِرُ الحرفَ نحو: أبْ، أتْ، أحْ، أعْ، أغْ"[2]، وقد سار على درب الخليل هذا أولئك الذين جاؤوا من بعده من علماء العربيّة.

وما جعلوا الصوت مسبوقا بهمزة إلاّ لعلمهم بأنّ "الحركة تُقْلِقُ الحرفَ عن موضعه ومُستقَرِّه، وتجتذبُهُ إلى جهة الحرف الذي

---

[1]- منهج التفكير الصوتي عند العرب ودوافعه، د.صبيح التميمي، ص: 44.

[2]- العين، الخليل بن أحمد، جـ: 1، ص: 52.

هي بعضه"[1]، ومَدَارُ الحديث هنا عن السّعي إلى نطق الصوت خالصاً صافياً بعيدا عن أيّ تأثيرٍ صوتيٍّ مُجاورٍ؛ فهُمْ يرونَ أنَّ الصوت إذا نُطِقَ مضموما مثلا سيتأثّرُ بالواو الذي تمثّلُ الضمّة بعضا منه، وكذلك الكسرة مع الياء، والفتحة مع الألف.

وكان الأفضلُ أنْ ينطقوا الصوت ساكناً لأجل تحديد مخرجه بصفة أدقّ ولاسْتِجْلاءِ صفاته بطريقة أصحّ؛ ولعلّ السّبب في إدخالهم همزة على الصوت أثرٌ من آثار " فكرةُ عدمِ الابتداء بالسّاكن إذا كان مُؤلّفاً مع غيره [التي] سيطرتْ على أذهانهم فاتّسعوا في تطبيقها لتشمل الصوت المُفرد"[2].

3. **عند الفلاسفة والمتكلّمين:**

ويُلاحَظُ أنّ الفلاسفة والمتكلّمين قد قدّموا إلى جانب المنهج الوصفي منهجهم الفلسفيّ القائم على الجدل والبناء المنطقيّ للأفكار والتصوّرات، ومثال ذلك جدلهم حول الصوت :أجوهرٌ هو أم عَرَضٌ؟ وكذا تفسير إخوان الصفا لعمليّة السمع.

والخلاصة أنّ المنهج الطاغي في دراستهم هو منهج وصفيٌّ يعتمد في كثير من الأحيان على "التذوّق الشخصيّ والملاحظة الذاتيّة

---

(1) سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، جـ1، ص:19.
(2) منهج التفكير الصوتي عند العرب ودوافعه، د.صبيح التميمي، ص:45.

في رصد الظواهر الصوتيّة، وهذا هو الأسلوب الصحيح الذي يتمشّى مع طبيعة المادّة بعيدا عن التأويلات والافتراضات"[1].

[1]. منهج التفكير الصوتي عند العرب ودوافعه، د.صبيح التميمي، ص: 44.

# الفصل الرابع

# المفاهيم الأساسيّة

## في علم الأصوات الحديث

أولا- مفهوم الصوت اللغوي.

ثانيا- فونيمات اللغة العربية.

ثالثا- الوضوح السمعي للأصوات.

## أولا. مفهوم الصوت اللغوي:

### أ. الصوت لغة واصطلاحا:

الصوت في اللغة: " الجَرْسُ... وقد صات يصُوتُ ويصَاتُ صوتاً، وأصاتَ، وصوّتَ به: كلُّهُ نادى "[1].

أما في الاصطلاح العلميّ فإنّ الصوت هو" الأثر السمعي الذي تُحدثه موجات ناشئةٌ عن اهتزاز جسم ما"[2] ؛ طبيعيا كان أو صناعيا، عن قصد أو غير قصد.

وبذلك فإنّ هذا التعريف العلميّ ينطبق على كلّ الأصوات الطبيعية والصناعية في الوجود، وعليه كان لابدّ من البحث عن مصطلحات خاصّة تميّز الأصوات التي تدخل في عمليّة التواصل اللغويّ الإنسانيّ عن غيرها.

يستعمل الناس - إذن - في تواصلهم أصواتا لغويّة وأخرى غير لغويّة كالصفير والأنين وغيرهما، وللتميز بينهما اقترح علماء اللغة بديلا للصوت بمعنيَيْه:

العامّ: (le son = the sound=).

والصوت بدلالته على الصوت البشريّ (la voix = the voice =).

وهذا البديل هو الفونيم (phonème).

---

[1] - لسان العرب: ابن منظور، ج: 2، ص: 64. (صوت).

[2] - معجم المصطلحات العلميّة والفنّية، يوسف خيّاط، ص: 391. (صوت).

## 2. الفونيم:

يأتي هذا المصطلح الصوتيّ الجديد من تعريب اللفظة الروسيّة: "fonéma"، وكان بودوان دي كورتناي أول من استخدمه بالمعنى الاصطلاحي[1] الذي يعني الوحدة الصوتيّة الصغرى النموذجيّة التي يحاول المتكلّم تقليدها، وهو يقدّم بذلك تفسيرا نفسيًّا للفونيم[2]؛ أي إنّه جزء من البنية الذهنية اللغوية لدى أفراد البيئة اللغوية الواحدة[3].

ولكنّ هذا المصطلح لم يشهد رواجا واستعمالا واسعا إلا منذ عشرينيات القرن الماضي على يد أعضاء مدرسة براغ[4] القادمين من بلدان مختلفة كروسيا وتشيكوسلوفاكيا وغيرهما.

---

[1] ـ موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر.هـ. روبنز، تر: د.أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع: 227، نوفمبر1997، ص: 324.

[2] ـ لقد كانت الفترة نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 ـ وهي مرحلة نشاط دي كورتناي ـ متميّزة باستيلاء النزعة النفسية على الحلقات اللسانية الأوروبية. (انظر: عالم الفكر، البنيويّة في اللسانيات، د. وفاء محمد كامل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، م: 26، ع: 2، أكتوبر/ديسمبر 1997، ص: 238).

[3] ـ اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف استيتية، عالم الكتاب الحديث، 2005، ص: 64.

[4] ـ موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر.هـ. روبنز، تر: د.أحمد عوض، ص: 324.

وتعدّ أعمال هذه المدرسة أوّل تطوّر مهمّ في نظرية الفونيم[1] ؛ إذ قدّم تروبتزكوي مفهوما أكثر دقّة ووظيفية من ذلك الذي قال به دي كورتناي، فعرّف الفونيم بأنّه أصغر وحدة صوتية مُميِّزة بين المعاني[2].

ومثال ذلك: "قال/سال" فالقاف والسين فونيمان لأنّه بتغيّرهما تغيّر المعنى وتَمَايَز بين الكلمتين، أمّا: "قال/ڨال" فإنّه رغم الاختلاف الصوتيّ بين: "ق" و: "ڨ" إلا أن معنى الكلمة لم يتغيّر، وهو ما يُعبّر عنه بالمصطلح: ألوفون (= allophone)[3] ومعناه. الصورة النطقيّة؛ فـ: "ڨ" صورة نطقية لـ: "ق" وليس فونيما مستقلا في اللغة العربية.

وهذا المفهوم أكثر ارتباطا بدراسة اللهجات لأنها هي التي تقدّم - عادة - مثل هذه التنوّعات الصوتيّة.

---

(1) - موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر.هـ. روبنز، تر: د.أحمد عوض، ص: 325.

(2) - مبادئ علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا)، اتروبتزكوي، تر: عبد القادر قنيني، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط: 1، 1994، ص: 46.

(3) - مدخل في الصوتيات، عبد الفتاح ابراهم، دار الجنوب، تونس، ص: 18. كما يُعبَّر عنها أيضا بـ: البديل أو العوض (= variante)، السابق الصفحة نفسها، و:

- la phonologie, Jean- louis Duchet, dar el afak, 4eme edition, 1995, p:57.

ثمّ قام رومان جاكوبسون بتعميق أكثر من خلال مفهوم "السمات المميّزة" الذي تمّت صياغته لأوّل مرّة على يد تروبتزكوي[1] وذلك بتطبيقه وتوسيعه. والسمّة المميّزة هي التقابل الذي يميّز فونيما ما عن غيره ضمن تقابل ثنائي"[2]، وقد استطاع جاكوبسون أن يُرجع كلّ التقابلات الصوتية الممكنة إلى اثني عشر تقابلا تشمل السمات الصوتيّة الأساسيّة[3].

ومن أمثلة السمات المميّزة تقابل الصاد والسين كما يلي:

| | أسنانيّ | مجهور | احتكاكي | صفيريّ | مُطبق |
|---|---|---|---|---|---|
| ص | + | - | + | + | + |
| س | + | - | + | + | - |

فكلا الفونيميْن من المخرج الأسنانيّ، مهموسٌ (- مجهور)، احتكاكيٌّ، صفيريٌّ، ولا يختلفان إلا في كون الصاد مطبقا والسين غير مطبق[4]؛ أي إن الإطباق هو السمة المميّزة للصاد في تقابله مع السين.

---

(1) - موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر.هـ. روبنز، تر: د.أحمد عوض، ص: 360.

(2) - Les termes clés de la linguistique, Marie-Noëlle Gary-Prieur, Editions du Seuil ,Paris, 1999, p: 58-59.

(3) - النظريّة الألسنية عند رومان جاكوبسون، فاطمة الطبّال بركة، ص: 42.

(4) - علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، ص: 175.

## ثانيا. فونيمات اللغة العربية:

تحتوي اللغة العربية - ككلّ اللغات - على قسميْ الفونيمات: "الصوامت والصوائت"؛ وهي التالية:

1. الصوامت: ء/هـ/ع/ح/غ/خ/ق/ك/ج/ش/ي/ض/ن/ل/ر/س/ص/ز/ت/ط/د/ث/ظ/ذ/ف/ب/م/و (*).

2. الصوائت: الألف، الواو، الياء، الفتحة، الضمّة، الكسرة.

ويتميّز كلّ من الفونيمات الصامتة بمخرجه وصفاته، أما الصوائت فلا تنسب إلى مخرج ولا تسند إليها صفة ولكن تتحدّد بـ: "السّمات".

### 1. الصوائت، الصوامت، وأنصاف الصوائت:

وهي الفونيمات التي لا يعترض مجرى الهواء فيها أيّ عائق، فيكون مجراه مفتوحا وغير مغلق لا جزئيّا ولا كلياً. أمّا الصوامت فهي تلك الفونيمات التي يعترضُ مجرى الهواء فيها عضوٌ أو أكثر من أعضاء النطق فيُغلَقُ جزئيا أو كليّا.

وهناك فئةٌ تُسمّى: "أنصاف الصوائت" أو: "أنصاف الصوامت"، وأحيانا: "أشباه الصوائت" أو "الانزلاقيات"، وهي تضمّ: الواو والياء غير الصائتيْن اللذيْن نعدّهما مع الصوامت؛

---

(*) - وهي مرتّبة هنا حسب مخارجها من الداخل إلى الخارج وفق ما توصّلت إليه الدراسات الحديثة.

وذلك لقرب طريقة نطقهما في المرحلة الأولى من طريقة نطق الصوائت.

## 2. سمات الصوائت:

قلنا إنّ الصوامت لا تُسنَدُ إلى مخارج معيّنة كالصوامت ولا صفات لها؛ وإنّما لها سمات تتأسّس على:

- ✓ الوضع الأفقيّ اللسان في الفم: إذا كان طرفه في مقدّم الفم فهي صوائت "أماميّة"، وإذا تراجع متجمّعا في الخلف فهي: "خلفيّة".
- ✓ الوضع العمودي للّسان في الفم: وإذا كان مستويا في الفم فهي صوائت: "منفتحة"، أمّا إذا ارتفع نحو الحنك الأعلى فهي: "مغلقة".
- ✓ حالة الشفتيْن: إذا كانت الشفتان في وضع عاديّ تقريبا فهي صوائت: "منفرجة"، أمّا إذا كانتا مُستديرتيْن فتسمّى صوائت: "مستديرة". وسمات الصوائت العربيّة كالتالي:

| | خلفية | امامية | منفتحة | مغلقة | مستديرة | فموية | انفية | مجهورة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الألف والفتحة | − | + | + | − | − | + | − | + |
| الياء والكسرة | − | + | − | + | − | + | − | + |
| الواو والضمة | + | − | − | + | + | + | − | + |

جدول 2: الصوائت العربية وسماتها[1].

(1) ـ اعتمد في تحديد السمات الأساسية للصوائت العربية على: مدخل في الصوتيات، عبد الفتاح ابراهم، ص: 119.

ومن خلال الجدول نلاحظ - إضافة إلى السمات المشروحة أعلاه - أنّ الصوائت العربيّة تتسم جميعا بأنّها فمويّة؛ أي لا دخل للأنف في نطقها، وبأنّها مجهورة؛ فليس لدينا في العربية صوائت توسمُ بالهمس.

## 3. مخارج الصوامت:

يقسّم علم الأصوات الحديث المخارج إلى عشرة هي التالية:

- ✓ الحنجريّ: وتصدر عنه الهمزة والهاء.
- ✓ الحلقي: للعين والحاء.
- ✓ اللهوي: لفونيم القاف.
- ✓ الطبقيّ: للغيْن والخاء والكاف. والطّبَقُ هو المنطقة الرّخوة اللينة في مؤّخر سقف الفم.
- ✓ الغاريّ: وهو مخرج الشين والجيم والياء. والغار هو الجزء الصّلب من سقف الفم.
- ✓ لثويّ: يصدر عنها اللام والنون والراء والضاد. واللثة هي المنطقة التي تخرج منها الأسنان، والمقصود هنا لثة الفكّ العلويّ لا السفليّ، ويكون ذلك بالتقاء اللسان بـ:

✓ أسناني لثوي: وهو مخرج لمجموعة كبيرة من الفونيمات، وهي: الدال الطاء التاء، الزاي. ويتمّ ذلك بالتقاء اللسان باللثة وأسنان الفكّ العلويّ.

✓ أسنانيّ: للسين والصاد والزاي، والظاء والذال والثاء. ويتمّ كذلك بالتقاء اللسان بأسنان الفكّ العلويّ.

✓ شفويّ أسنانيّ: وهو مخرج الفاء؛ حيث تلتقي الشفة السفلى بأسنان الفكّ العلويّ.

✓ شفوي: وهو للباء والميم والواو.

4. **صفات الصوامت:**

سيُقتَصَر هنا على أهمّ الصفات، بينما هناك صفاتٌ أخرى للمجموعات و للأصوات المفردة تمّ تناولها بشكل كاف خلال الفصل السابق، وهي مُثْبَتَةٌ في الجدول آخرَ هذا الفصل.

✓ جهر/همس: تنتج صفة الجهر عن اهتزاز الوترين الصوتيين في الحنجرة عند نطق الصوت، بينما ينتج الهمس عن عدم اهتزازهما.

✓ انفجار/احتكاك: عندما يُغلَق مجرى الهواء إغلاقاً تمّا ينحبس الهواء وراء عضويْ النطق الحابسيْن له فترة، ثمّ ينفصلان بسرعة فيندفع الهواء مُحدثاً دوياً، فتنتج صفة: "الانفجار".

وأمّا إذا كان الإغلاق جزئياً بتقارب عضوين من أعضاء النطق بشكل يجعل الهواء المارّ بينهما يصدر نوعا من الحفيف لاحتكاكه بهما، حينها نصف هذا الفونيم بأنّه: "احتكاكي".

## ثالثاً ـ الوضوح السمعي للأصوات:

تتفاوت الفونيمات من حيث الوضوح في السمع؛ فالصوائت هي الأوضح، ثمّ تتفاوت الصوامت وضوحاً في المدرّج وقد رتّبها "أوتو يسبرسن" (Otto Jesperson) في مدرّج شهير يحمل اسمه: "مدرّج يسبرسن لجهارة الأصوات".

وقد اجتهدتُ هنا في تطبيقه على الفونيمات العربيّة آخذاً بعين الاعتبار خصائصها التي تبرزها الدراسات التراثيّة والحديثة. وتبرز فيه الفونيمات العربية كما يلي مُرتّبةً تنازلياً من الأعلى إلى الأخفض جهارة:

1 ـ الصوائت المفتوحة: الألف والفتحة.

2 ـ الصوائت المغلقة: الياء والكسرة، الواو والضمّة.

3 ـ أنصاف الصوائت: الياء والواو.

4 ـ الفونيم التكراري: الراء، وهو أجهر الصوامت.

5 ـ الفونيمان الأنفيّان: الميم والنون، والفونيم الجانبي: اللام والعيْن.

6 ـ الفونيمان المركّبان: الجيم والضاد.

7 ـ الفونيمات المجهورة الاحتكاكية: غ، ز، ظ، ذ.

8 ـ الفونيمات المجهورة الانفجارية: ء، ط، د، ب.

7 ـ الفونيمات المهموسة الاحتكاكية: هـ، ح، خ، ش، س، ص، ث، ف.

8 ـ الفونيمات المهموسة الانفجارية: ق، ك، ت.

| | حنجري | | حلقي | | لهوي | طبقي | | | غاري | | | لثوي | | | | لثوي أسناني | | | أسناني | | | | | | شفوي أسناني | شفوي | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | ء | هـ | ع | ح | ق | غ | خ | ك | ج | ش | ي | ر | ل | ن | ض | ط | ت | د | س | ص | ز | ظ | ذ | ث | ف | ب | م | و |
| مجهور | +[1] | − | + | − | − | + | − | − | + | − | + | + | + | + | + | − | − | + | − | − | + | + | + | − | − | + | + | + |
| انفجاري | + | − | − | − | + | − | − | + | | − | | | | | | + | + | + | − | − | − | − | − | − | − | + | − | − |
| جانبي | | | | | | | | | | | | | + | | | | | | | | | | | | | | | |
| مائع | | | | | | | | | | | | + | + | + | | | | | | | | | | | | | + | |
| مكرّر | | | | | | | | | | | | + | | | | | | | | | | | | | | | | |
| أنفي | | | | | | | | | | | | | | + | | | | | | | | | | | | | + | |
| مطبق | | | | | | | | | | | | | | | + | + | | | | + | | + | | | | | | |
| مفخّم(2) | | | | | | | | | | | | | | | + | + | | | | + | | + | | | | | | |
| صفيري | | | | | | | | | | | | | | | | | | | + | + | + | | | | | | | |
| متفشٍّ | | | | | | | | | | + | | | | | | | | | | | | | | | | | | |
| مركّب(3) | | | | | | | | | + | | | | | | + | | | | | | | | | | | | | |
| نصف صائت | | | | | | | | | | | + | | | | | | | | | | | | | | | | | + |

جدول 3. الصوامت العربية: المخارج والصفات.

(1) يميل كثير من المحدثين إلى أنها مهموسة، وأرى، مع سيبويه، أنها مجهورة. انظر: ص 66 من هذا الكتاب. (2) التفخيم هو الأثر السمعيّ الناتج عن الإطباق.

(3) الجيم والضاد مركّبان من الانفجار والاحتكاك لأنّ عضوي النطق الحابسَين للهواء خلفهما ينفصلان ببطء مما يُنتج في النهاية نوعًا من الاحتكاك.

# خاتمة

من خلال الفصول السابقة نستشف مدى الجهد الذي بذله علماء ومفكّرو الحضارة العربيّة، فقد كان جهدا مستمرًا ومثابرا، كما أنّه كان ممنهجا. ومن جهة أخرى فقد كان جهدا متجدّدا فلا حَجْرَ على الاجتهاد والتجديد؛ إذ سعى سيبويه لتجاوز ما أنجزه الخليل في مقدّمة العيْن، ثمّ سعى الآخرون لتجاوز جهد سيبويه، وهكذا.

كما أنّ درسهم للظاهرة الصوتيّة في الطبيعة أو ضمن التواصل البشريّ كان دقيقا وينمّ عن سعة أفق، وروح علميّة لا تتوقّف عند حدود المظهر الخارجيّ للظاهرة، وتسعى إلى التأمّل إذا خفي عليها جزء من القضيّة وتعذّر عليها الوصف، وذلك ما فعله إخوان الصفا مثلا في تحليلهم لعمليّة السمع.

أمّا المخارج والصفات فقد استنبطوا الطريقة التي رأوها ملائمة لتحديدها، وتوصّلوا إلى التصنيفات عينها التي توصّلت إليها الدراسات الحديثة.

إنّ التراث الصوتيّ العربيّ ثريٌّ جدًّا ولا يزال بحاجة إلى بحوث وجهود تُبرزُ أصالته وإبداعه، والأهمّ من ذلك،

تُوظّفه في تحليل النصوص العربيّة من قرآن كريم وأحاديث نبويّة وقدسيّة، وشعر ونثر، وكلام عاديّ كذلك، وأيضا النسج على منواله في الاجتهاد والتجديد المستمرّيْن.

لقد قدّم أبو الأسود والخليل وسيبويه وابن جنّي، والجاحظ وإخوان الصفا والأشعريّ، وغيرهم جهدا علميّا منظّما على قدر ما أسعفتهم به ظروفهم الحضارية حينها، لقد كانوا في صلب الحضارة والتقدّم في عصرهم، وكانوا واسعي الأفق مُنفتحين على الثقافات الأخرى، وهو ما جعل أعمالهم مصدر تبجيل واحترام في عصر التقنيّة والمخابر، وجعل منها أساسا لا يُستغنى عنه في الدراسات الصوتيّة؛ فكلّ من تصدّى لدراسة الأصوات العربيّة من عرب أو غربيين اضطرّ إلى الأخذ بجُلّ تصنيفاتهم وآرائهم.

ليس هذا تمجيدا عاطفيّا، وإنّما هو حقيقة الحال وما تثبته هذه الدراسة المتواضعة وغيرها لأنّ من سار بخطوات وإيقاع عصره لا بدّ أنْ يَخلُدَ.

والحمد لله حمدا ينتهي إلى رضاه، ويُبلغُ الحامد مناه، وهو خير مُستعان ومُوفّق.

# قائمة المصادر والمراجع

## ب. الكتب العربية

- أ -

1. أئمة النحاة، د. محمد محمود غالي، دار الشروق، جدة، ط:1، 1976.

2. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:1، 1987.

3. إخوان الصفا (سلسلة فلاسفة العرب)، يوحنا قمير، دار المشرق، بيروت، 1982.

4. الأدب واللغة، المكتب العالمي للبحوث، منشورات المكتب العالمي، بيروت، 1983.

5. أسس علم اللغة، ماريو باي، تر: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط:2، 1983.

6. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط:4، 1971.

7. أصول تراثية في علم اللغة، د. كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط:2، 1985.

8. الألسنية العربية 1، ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط:1، 1972.

ـ ب ـ

9. البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر، دار المعارف، القاهرة، 1971.

10. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1988.

ـ ت ـ

11. تاريخ الأدب العربي، د. ريجيس بلاشير، تر: د. إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر ـ تونس والمؤسسة الوطنيّة للكتاب ـ الجزائر، 1986.

12. التحرير والتنوير، الشيخ الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ـ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

13. تهذيب اللغة، الأزهري، تح: عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964.

ـ ح ـ

14. الحيوان، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، ط: 3، 1969.

- د -

15. دراسة السمع والكلام، د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، 1980.

16. دراسات في التجويد والأصوات اللغوية، عبد الحميد محمد أبو سكّين، مطبعة الأمان، شبرا، مصر، 1983.

- ر -

17. رسائل إخوان الصفا، دار صادر ودار بيروت، بيروت، 1958.

- س -

18. سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، تح: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقيّة، القاهرة.

- ص -

19. الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، تح: د. مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، بيروت، 1964.

- ع -

20. علماء العرب، يوسف فرحات، ترادكسيم، جنيف، ط: 1، 1986.

21. علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تر: د.عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، 1988.

22. علم الأصوات، د. حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: 1، 2004.

23. علم الأصوات العام، بسام بركه، مركز الإنماء القومي، بيروت.

24. علم الأصوات اللغوية، د. مناف مهدي الموسوي، منشورات جامعة السابع أبريل، ليبيا، ط: 1، 1983.

25. علم الصوتيّات، محمد سعيد احديد ـ محمد محمد زريق، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط: 1، 1991.

26. علم اللغة: مقدّمة للقارئ العربيّ، د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت.

27. علوم اللغة العربيّة في الآيات المعجزات، د. نشأة محمد رضا ظبيان، دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 1997.

28. العين، الخليل بن أحمد، تحـ: عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد، 1967.

ـ ف ـ

29. الفروق في اللغة، أبو هلال العسكريّ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: 3، 1979.

30. في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطيّة، منشورات العراق، 1983.

- ك -

31. الكتاب ، سيبويه ، تح : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط : 1 ، 1991.

32. الكتابات والخطوط القديمة ، تركي عطية الجبوري ، مطبعة بغداد ، بغداد ، 1984.

33. الكندي (سلسلة فلاسفة العرب) ، يوحنا قمير ، دار المشرق ، بيروت ، 1982.

- ل -

34. لسان العرب ، ابن منظور ، تح : عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : 1 ، 2003.

35. اللسانيات : المجال والوظيفة والمنهج ، د. سمير شريف استيتية ، عالم الكتاب الحديث ، 2005.

36. اللغة وعلم النفس ، موفق الحمداني ، مديرية الكتاب للطباعة والنشر ، الموصل ، العراق ، 1982.

- م -

37. ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، السيرافي ، تح : د. صبيح التميمي ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر.

38. مباحث في اللسانيات ، أحمد حساني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994.

39. مبادئ علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا)، اتروبتزكوي، تر: عبد القادر قنيني، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط: 1، 1994.
40. محاضرات في علم النفس اللغوي، د. حنفي بن عيسى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط: 4، 1993.
41. مدخل في الصوتيات، عبد الفتّاح ابراهم، دار الجنوب، تونس.
42. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1969.
43. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحـ: د.إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط: 1، 1993.
44. معجم الإعراب والإملاء، إميل بديع يعقوب، دار شريفة، الجزائر.
45. معجم المصطلحات العلميّة العربية، فايز الدّاية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط: 1، 1990.
46. معجم المصطلحات العلميّة والفنيّة، يوسف خيّاط، دار لسان العرب، بيروت.
47. المقتضب، المبرّد، تحـ: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1963.
48. مناهج البحث في اللغة، د.تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1979.

49. موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ر.هـ. روبنز، تر: د.أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع: 227، نوفمبر 1997.

50. موسيقى الشعر العربي، د. شكري محمد عياد، أصدقاء الكتاب، ط: 3، 1998.

- ن -

51. نزهة الألباء، أبو البركات الأنباري، دار نهضة مصر، القاهرة.

52. نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، علي عبد الواحد وافي، مكتبة غريب، القاهرة.

53. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تصحيح: محمد علي الضباع، دار الكتاب العربي.

54. النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، فاطمة الطبّال بركة، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 1، 1993.

- هـ -

55. همع الهوامع، السيوطي، تح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلميّة، الكويت، 1979.

## ثانيا. الكتب الأجنبية:

56 - la phonologie, Jean- louis Duchet, dar el afak,4eme edition,1995,p:57

57 - Les termes clés de la linguistique, Marie-Noëlle Gary-Prieur, Editions du Seuil ,Paris, 1999, p: 58-59.

## ثالثا. الدوريات:

58. البنوية في اللسانيات ، د. وفاء محمد كامل ، عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، م: 26 ، ع: 2 ، أكتوبر/ديسمبر 1997.

59. الفكر الصوتي عند ابن دريد ، د. خليل إبراهيم العطيّة ، مجلّة كليّة الآداب ، البصرة ، س: 14 ، ع: 16.

60. منهج التفكير الصوتي عند العرب ودوافعه ، د. صبيح التميمي ، مجلة الشريعة ، جامعة قسنطينة ، الجزائر ، ع: 3 ، 1992.1993.

# فهرس

تمت بحمد الله

ISBN 994794217-1